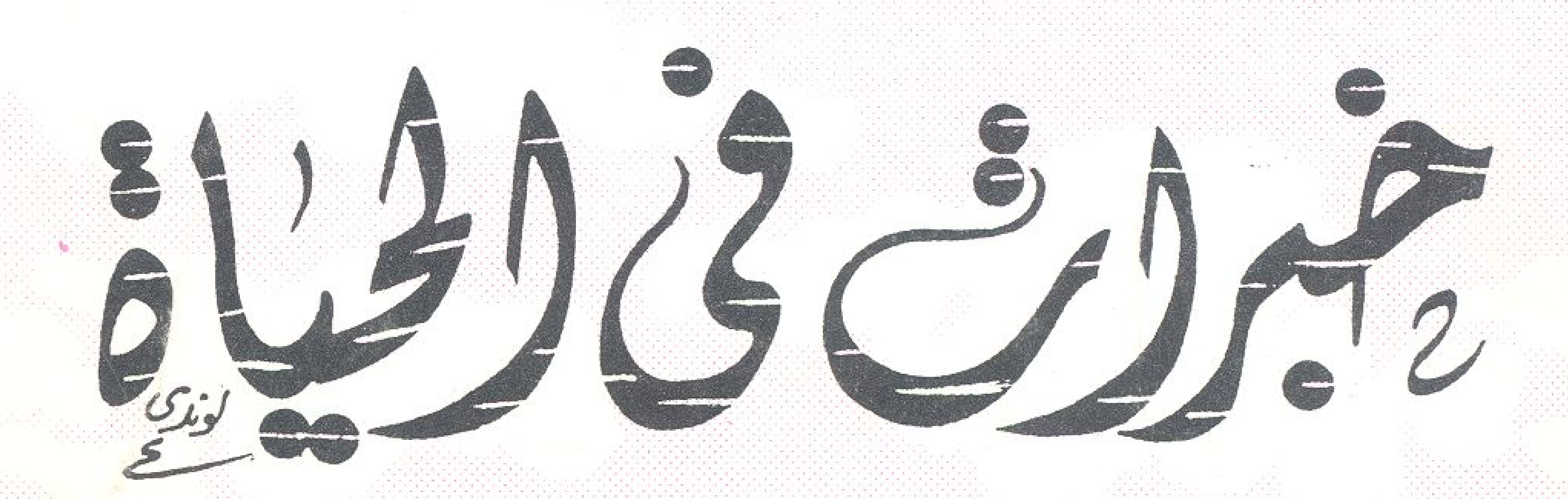
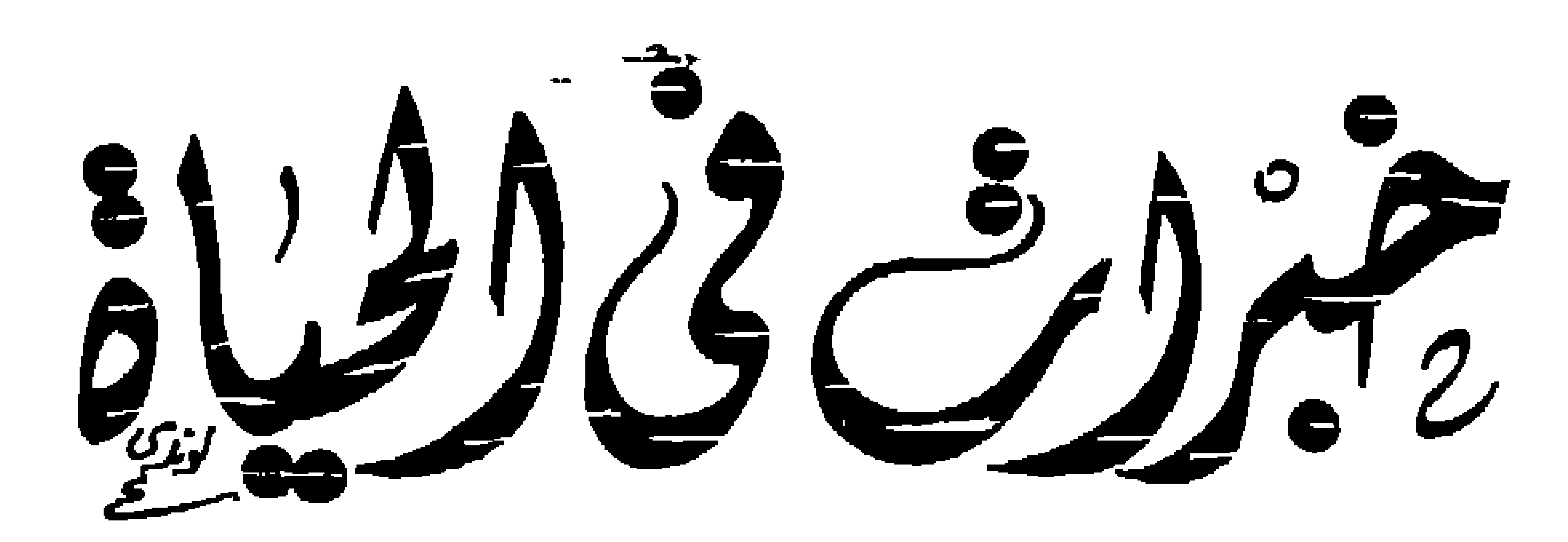
البابا شنوده الثالث



"الجزء الثاني"

البابا شنوده الثالث



" الجزء الثانى "

Experiences in Life II

By H.H. Pope Shenouda III

الطبعة الأولى
سبتمبر ١٩٩٢
القاهرة

1st. Print
Sept. 1992
Cairo

الكتاب : خبرات فى الحياة ج ٢ .
المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث .
الطبعة : الأولى سبتمبر ١٩٩٢م .
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست ـ العباسية ـ القاهرة .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٥٦٥٨/٨٨ .



قداسة البابا شنوده الثالث

مقدمة

كل إنسان تمر عليه فى الحياة أحداث ومواقف ، يمكن أن يأخذ منها دروساً له أو لغيره ، وتصبح ضمن خبراته فى الحياة لو أنه لاحظ وتفّهم ...

وكثير من الناس تكون لهم حقاً خبرات فى الحياة ، ولكن قليلين منهم يسجلون هذه الخبرات ... البعض قد يتحدث عنها فى بعض أحاديثه ، ولا يعدو الأمر أكثر من هذا ، ولا تصبح ملكاً للكل ...

ولقد حدث معى وأنا سائر فى طريق الحياة ، أن رأيت الكثير ، ولاحظت الكثير ، وساعدتنى فى كل هذا ، صلات ولقاءات متعددة ، واختلاط بمشاكل الناس وأخبارهم ، بحكم مسئوليتى ...

ورأيت من واجبى يا أخى القارىء ، أن أشركك معى فيما اختبرته ، حتى تستطيع أن تقول معى :

علمتنى الحياة

وهذا هو الجزء الثانى من كتابنا ، يشمل ١٤٠ من هذه الخبرات . وقد شمل الجزء الأول أكثر من ١٧٠ ، أضعها جميعها بين يديك .

١

الحجرة الزجاجية

إننا نقاسى كثيراً من ضوضاء الأطفال أثناء الصلاة فى الكنائس ، مما يتسبب عنه أن بعض الأمهات يبقين فى البيوت مع أطفالهن ، ولا يحضرن إلى الكنيسة ، أو يبحثن عن طريقة لإيداع الطفل عند إحدى القريبات ، أو فى دار من دور الحضانة .

ولكن بعض كنائسنا فى أمريكا وانجلترا ، توصلت إلى حل أفضل ، وهو تصميم حجرات زجاجية داخل الكنيسة ، تجلس فيها الأمهات مع أطفالهن ، يبصرن كل شيء ، وتصل إليهن الألحان والصلوات والقراءات والعظات عن طريق مكبرات الصوت . وفى نفس الوقت لا يصل صراخ الأطفال وبكاؤهم وضوضاؤهم إلى الخارج ، لأن هذه الحجرات مؤسسة بطريقة هندسية تمنع الصوت . والجزء الخشبى السفلى منها مكون من طبقتين بينهما فلين .

هل يمكن تنفيذ هذه الفكرة فى كنائسنا فى مصر ، حفظاً لهدوء الكنيسة ؟!

(٢)

التاريخ

هناك نوعان من الناس ينتسبان إلى التاريخ .

★ نوع يكتب التاريخ ويسجله ، ونسمى هؤلاء بالمؤرخين .

★ والنوع الآخر والأهم هو الذى يصنع التاريخ .

ونقصد بهذا النوع كبار الشخصيات التى تصنع الأحداث الكبيرة التى ينشغل المؤرخون بتسجيلها ...

ومن صانعى التاريخ كبار المصلحين والرعاة والحكام والقادة .

ويمكننا أن نضم أستاذنا حبيب جرجس ضمن صانعى التاريخ ، تاريخ الكنيسة فى جيلنا المعاصر...

(٣)

ألزم الأشياء

قال لى : ألست ترى حكمة الله واضحة فى أنه جعل ألزم الأشياء ضرورة للإنسان ، هى أكثر الأشياء فى رخصها أو هي بلا

ثمن . فالهواء والماء، بلا ثمن ، أو رخيص جداً . وكيلو من الخضار لازم للإنسان ، ثمنه أرخص بكثير من تورتة جلو يات هى لا تلزم الإنسان بل قد تضره بما تحمل من سكريات ودهنيات وكوليسترول ...

فقلت له : والأحجار الكريمة الغالية جداً فى ثمنها كالياقوت والزمرد واللؤلؤ والذهب ، ما فائدتها وما لزومها لحياة الإنسان ؟! أليست هى مجرد ديكور؟!

٤
محبة غير حقيقية

رأيت فى طريق الحياة أشخاصاً يظنون أن محبتهم لغيرهم هى أن يدافعوا عنهم فى الخطأ كما فى الصواب .. !

كالأم التى تظن أن محبتها لابنها هى أن تدافع عنه مهما كانت أخطاؤه ، أو تخفى هذه الأخطاء عن والده ، وتغطيها ولو بأكاذيب . وهكذا يتلف الابن ، ولا يتمكن الأب من حسن تربيته .

إن المحبة الحقيقية لغيرك ، هى أن تساعده على السلوك السليم والحياة الروحية ، ليضمن أبدية سعيدة ...

٥

المتابعة

علمتنا خبرات الحياة: أن قرارات حكيمة قد تصدر، ولا تؤدى إلى أية نتيجة وذلك بسبب عدم المتابعة..!

وكثيراً ما نصدر أمراً إلى أحد العاملين معنا ، ونسمع كلمة «حاضر» ... ونعتمد على كلمة « حاضر » ، ونظن أن ما نريده قد تم . ثم نكتشف بعد مدة أن الأمر الذى أصدرناه لم ينفذ.. ، ربما لأن الشخص الذى أمرناه قد انشغل ونسى ، أو أنه أهمل. أو وقفت أمامه عقبات ولم يخبرنا بها . وانتظر إلى أن تزول العقبات ، ولم تزل ...

لذلك على كل من هو فى موضع المسئولية ، ألا يكتفى بإصدار القرارات النافعة ، بل لابد أن يتابع التنفيذ . إن التخطيط وحده لا يكفى ، بدون تنفيذ ...

وحتى إن شكّلنا لجنة لمتابعة تنفيذ القرارات ، لابد من متابعة

ما تعمله لجنة المتابعة ، ومقدار ما وصلت إليه من نتائج .

وأيضاً ربما تكشف لنا المتابعة العقبات العملية التى تقف فى طريق التنفيذ ، فنعمل على تلافيها ، لنصل إلى النتيجة المرجوة ...

٦

الخطوة التالية

رأيت فى طريق الحياة من يخطو خطوة معينة ، إما عن اقتناع ، أو فى حالة انفعال ، أو نتيجة لنصيحة ما . ولا يفكر مطلقاً ماذا ستكون خطوته التالية ...

ولا يفكر أيضاً فى الخطوة التالية التى سيخطوها غيره نتيجة لخطوته هذه ... أى لا يفكر فى ردود الفعل ، ونتائجها بالنسبة إليه ، وموقفه بعدئذ من ردود الفعل هذه ... !

أو قد يفكر من زاوية واحدة، أو احتمال واحد لما يحدث ، بينما تكون هناك احتمالات عديدة لم يتوقعها ... إنه ينظر عند قدميه فقط ، ولا يتجه بصره إلى ما هو أبعد ... !

وقد يندم ، ولكن بعد فوات الفرصة ... وبخاصة لو كانت خطوته مصيرية ...

⑦

مجـــرد عـَـــزاء

إننى أذكر هذا الإنسان جيداً ، وما حكاه لى :

توفى والده بعد مرض طويل ، قضاه بين المستشفيات والأطباء والأدوية .. فجاء كثيرون يعزونه فى الكنيسة ، وفى البيت ، وفى سرادق العزاء ... ومضى كل منهم إلى شأنه .

وفى وسط كل هؤلاء ، سلّم عليه صديق عزيز إليه ، وهو خارج من سرادق العزاء ، وسلّمه خطاباً . وقال له : إقرأ هذا الخطاب سراً بعد رجوعك إلى بيتك ...

ولما عاد إلى بيته فتح الخطاب ، فقرأ فيه هذه العبارات :

« لاشك أن مرض والدك قد كلفك أعباء مالية ضخمة . ولعلك مديون بالكثير . كما أن هذا السرادق والصرف على الضيوف يكلفك عبئاً مالياً آخر ، يضاف إليه إعلان النعى فى الجرائد » .

« لذلك أرجوك قبول هذا المبلغ ، من قلب يحبك و يشعر بك ...

لأنى أنا نفسى وقعت تحت أعباء مالية كهذه، فى ظروف مشابهة ... وليكن هذا الأمر سراً بيننا ...» .

هذا الصديق قدم عزاءه . ولم يكن مجرد عزاء .

٨

مكيالان

رأيت فى طرق الحياة أشخاصاً يؤيدون موضوعاً بكل قوتهم، حينما يكونون هم القائمين على تنفيذه. ونفس الأمر ينتقدونه بنفس القوة وأكثر، حينما يكون غيرهم هو القائم على التنفيذ !!

ورأيت أشخاصاً يطلبون من المسئولين أموراً، ما كانوا يقدرون عليها إطلاقاً حينما كانوا هم المسئولين. يتحدثون عن المثالية المطلقة، حينما يكون غيرهم هو المسئول. فإن وضعت المسئولية فى أيديهم، يتحدثون عن الممكن عملياً !!

وفى تأملى لكل ذلك، عجبت للذين يزنون بميزانين، ويكيلون بكيلين .

٩

أوشية المسافرين

حدث ذلك فى فبراير سنة ١٩٦٩ ، وأنا أسقف للتعليم، وقد كنت راجعاً من لندن، ومررت على المانيا. وهبطت الطائرة فى فرانكفورت ، حيث أقمت يومين ، ثم دعانى أولادنا فى اشتوتجارت أن أقيم لهم قداساً هناك ، فذهبت إليهم وأقمت القداس ، وجلست معهم بعض الوقت. ثم أخذت العربة فى طريقى إلى فرانكفورت لاستقل منها الطائرة إلى القاهرة فى نفس اليوم.

وكان موعد قيام الطائرة الساعة السادسة والنصف مساء ...

والذى حدث أننى كنت قد تأخرت. نظرت إلى الساعة فإذا هى السادسة، وأنا لا أزال فى الطريق العام (الأ وتوشتراس). وأنا استعجل إبننا الذى يسوق العربة ، وهو يسرع بقدر ما يستطيع وبقدر ما يسمح القانون... الساعة وصلت إلى السادسة والربع ، ونحن فى الطريق، وقد لاح المطار من بعيد. ووصلنا إليه فى السادسة والثلث أو بعد ذلك بدقيقتين ، وعلينا أن نقوم باجراءات السفر...

كان الأوتوبيس قد حمل الركاب من الترانزيت إلى الطائرة ، فدخلوها ، ورُفع السلم ، واغلق باب الطائرة. وكان المكتب قد انتهى من عمله ، ورفع الموظف أوراقه. فلما وصلت ، بدأ من جديد بكل هدوء ، يراجع التذكرة والباسبور ، و يأمر بوزن امتعتى. وعقرب الساعة يتحرك ، حتى وصل إلى السادسة ونصف إلا خمس دقائق. والعجيب حتى حقيبة اليد الـ Hand Bag أمر الموظف بوزنها. ووجدت زيادة فى الوزن ، وطلب أجراً على ذلك.

وكان عقرب الساعة يتحرك ، ووصل إلى دقيقتين قبل النصف.

ماذا افعل ، حتى لو صرفنى الآن ؟ كيف أصل من الترانزيت إلى الطائرة ؟! وهل أشير إليها لتقف ، كما كانوا يفعلون قديماً مع قطار الدلتا ؟!

وماذا عن طلبة الإكليريكية وكل تلاميذى الذين ينتظروننى فى مطار القاهرة ، إذا وصلت الطائرة وأنا لست فيها ؟ ماذا يكون شعورهم بل ماذا يكون قلقهم ؟! وهوذا عقرب الساعة يتحرك ، ووقت اقلاع الطائرة لم تبق عليه سوى دقيقتين ؟!

وفى تلك اللحظة رأيت يد الله تتدخل ...

دق جرس التليفون ، وإذا بها مكالمة من الطائرة . كابتن الطائرة يشكو من مغص شديد جداً ، ولابد من قائد آخر يقودها ... !

وذهبت سيارة لتأتى بالكابتن المريض ، وتفاهموا على كابتن آخر، يقود الطائرة. وكان الوقت كافياً جداً لأن أذهب إلى الطائرة ، وأجلس فى سلام قلبى على مقعدى ، واربط الحزام ، وانتظر إلى أن تقوم الطائرة بعد أكثر من خمس دقائق .

وعرفت عملياً قيمة أوشية المسافرين ...

« كن معهم فى الاقلاع وفى المسير ... » .

« ردّهم إلى مساكنهم سالمين ... وبالفرح فرحين » .

وحدث معى حادث آخر مشابه إلى حدّ ما ، أكد لى مفعول أوشية المسافرين ، التى حينما أصليها وأصل إلى عبارة « إن كان فى البحار أو البحيرات ... » أضيف إليها « أو فى الجو... » .

١٠

الأمانة على أسرار الناس

رأيت فى حياتى كثيراً من الناس ، يهمهم أن تكون أسرارهم الخاصة فى الحفظ والصون ، ولكنهم ليسوا كذلك بالنسبة إلى أسرار الناس !! من الصعب أن يحتفظوا بسر يقال لهم ... ! .

وأكثر من هذا يريدون أن يعرفوا أسرار الناس التى لم يقولوها لهم !! إما بمداومة سؤال غيرهم عنهم ، أو بمحاولة تحرى أسرار الغير، أو بالضغط على أشخاص بالأسئلة المتتابعة الدقيقة المحرجة ، لكى يعرفوا كل ما فى حياتهم من أسرار ومن أخبار، ولو على الرغم منهم !!

ويحاول هؤلاء الأشخاص أن يتخلصوا من الأسئلة ، فلا يستطيعون... وإن أصروا على الصمت وعدم الكلام ، يتهمونهم بعدم محبتهم لهم ، بحجة أنهم لا يخبرونهم بأسرارهم !!

وإن عرفوا هذه الأسرار، لا تبقى بعد أسراراً !!

١١

لم أقل ، هذا رأيى

يحدث أحياناً أن أحد الباحثين ينشر أفكاراً خاطئة ، ويوقع عليها بإمضائه ... تعاتبه أو تحاسبه فيقول لك :

أنا لم أقل بهذا الرأى . أنت لم تقرأ جيداً ! أنا ذكرت أن العالم الفلانى قال كذا ، والمفكر الفلانى قال ... واثباتاتهم هى كذا وكذا ...   نعم ، إنك فعلت ذلك .

نشرت الخطأ وأدلته ، بأسلوب المؤمن به .   ولم ترد على تلك الأخطاء ، ولم تناقشها ، ولم تظهر زيفها ...

ولم تشرح الإيمان السليم فى كل ما ذكرته .

وأعثرت القراء الذين يثقون بك وبكتاباتك .

وأنت مسئول أمام الله والكنيسة عن كل ما دخل فى عقولهم من أفكار خاطئة بسببك ...

لا يكفى أنك لم تنسب الرأى إليك ...

(١٢)

مفكرتى

كنت وأنا شاب فى العشرينات من عمرى ، حريصاً على أن أضع باستمرار مفكرة صغيرة فى جيبى ، اكتب فيها ما أسمعه خلال يومى من كلمات نافعة ، أو ما أتلقاه من عظات ودروس من أحداث الحياة ، ومن لقاءاتى بالناس، أو من لقاءات الناس بعضهم ببعض .

وكانت الحياة غنية بالدروس ، وكنت تواقاً للانتفاع بها . ولما كانت تلك الدروس كثيرة جداً ، وخوفاً من أن أنساها ، لذلك كنت أكتبها فى مفكرتى ، لأقرأها بين الحين والآخر .

مثال ذلك ، حينما كنت أزور أستاذنا حبيب جرجس ، كنت أحرص فى كل مرة ، أن أكتب فى مفكرتى ما استفدته خلال تلك الزيارة . ما كنت أطلب منه أن يقول لى كلمة منفعة ، إنما كنت ألتقط كلمات المنفعة بطريقة طبيعية وتلقائية فى سياق الحديث .

كنت أحاول أن أستفيد من الكل ، ليس من الأشخاص

الفاضلين فقط ، بل حتى من أخطاء الآخرين ، ملاحظاً ما تتركه أخطاؤهم من آثار سيئة ، وردود فعل تتعبهم .

وأكتب ذلك أيضاً باختصار فى مفكرتى ...

١٣

عطف !! وحب !! .

كثيراً ما رأيت أشخاصاً فى طريق الحياة ، باسم العطف ، يساعدون الغير على الاستمرار فى الخطأ أو فى الشر ، ناسين أنهم يشتركون معهم فى مسئولية أخطائهم ، وناسين قول الرسول :

« ولا تشترك فى خطايا الآخرين » (١تى ٥: ٢٢) .

وباسم العطف ! وباسم الحب ! يدافعون عن محبيهم فى كل أخطائهم ، بل يبررون هذه الأخطاء . وبهذا التبرير يستمر الخطاة فى طريقهم الخاطىء ، ويتشجعون عليه ، وقد يقلدهم البعض فيه ... وقد قال الكتاب :

« مبرىء المذنب ، ومذنب البرىء ، كلاهما مكرهة للرب » (أم ١٧: ١٥) .

ونلاحظ أنه ذكر مبرىء المذنب أولاً ، فى كونه مكرهة للرب .

هؤلاء يضرون أنفسهم ، لأنهم يتعرضون لعقوبة الله ، إذ لم يقفوا فى جانب الحق ، والله هو الحق (يو١٤ : ٦) . وأيضاً يضرون من يحبونهم إذ يشجعونهم على الخطأ ... فما هو الوضع السليم إذن ؟ نجيب :

المحب الحقيقى ليس هو الذى يبرر أخطاء من يحبه ، بل الذى يقوده إلى التوبة ، والتخلص من الأخطاء .

١٤

مَن هوَ أكبر منك

لا تعامل من هو أكبر منك معاملة الند بالند : ترد على الكلمة بكلمة ، وعلى الغضبة بغضبة ، وعلى الإهانة بإهانة ...

إن كان هذا لا يجوز مع من هو مساوٍ لك ، فكم بالحرى مع من هو أكبر.. ؟

لا تطلب معاملة خاصة ، مفضلة أو مميزة عن معاملة الآخرين ، وبخاصة إن كان هذا يسبب لغيرك حرجاً .

١٥

بين الخيال والواقع

يلذ لى أحياناً أن أغمض عينى وأحلم ، لأننى فى أحلامى أرى أشياء جميلة لا يقدمها لى الواقع .

ثم يعود الواقع فيجذبنى إليه ، ويرغمنى أن أفتح عينى لأرى .... حتى أكون إنساناً عملياً ، ولا أحيا فى الخيال ...

غير أنى من خبراتى العملية ، أرى أن أشياء جميلة جداً فى واقعنا كانت من قبل خيالاً أو فى حكم الخيال .

ويشجعنى هذا على الثقة والإيمان بأن كثيراً من الأمور التى أحلم بها الآن ، وأراها فى خيالى ، ستحولها نعمة الله فى يوم ما إلى واقع عملى ...

وأنا فى خيالى ، بل فى إيمانى ، أرى ذلك اليوم الذى ستعمل فيه النعمة لتحقيق الخيال ، كأنه قائم الآن .

إذن المسافة هنا بين الواقع والخيال ، هى بالإيمان مجرد فارق زمنى ، وليست فارقاً بين الحقيقة والوهم .

١٦

دليل سياحى عن الأديرة

وصل إلينا اقتراح بالقيام بعمل دليل سياحى باللغتين العربية والإنجليزية يشمل ما يأتى:

١ ـ جميع الأديرة فى مصر .

٢ ـ تاريخ كل دير وظروفه .

٣ ـ كيفية الوصول إلى الدير، ومقدار المسافة بينه وبين القاهرة مثلاً .

٤ ـ خدمات كل دير ومنشئاته الجديدة .

٥ ـ أية معلومات أخرى نافعة .

ونحب أن نضيف ملاحظتين :

أ ـ كثيراً من أديرتنا ، وليس الكل، قامت بطبع كتاب خاص عن الدير بأكثر من لغة، مع صور لآثاره القديمة ومنشئاته الجديدة .

ب ـ يمكن أن يضاف إلى الدليل المقترح الكنائس القديمة الأثرية ، والكنائس الجديدة الهامة ...

١٧

عتاب متعبٌ للأعصَاب

شخص يقع فى خطأ ، و يسىء إليك إساءة بالغة ...

تعاتبه ، فينكر. مع أن الخطأ واضح جداً.

و يظل يجادل كثيراً ، بطريقة متعبة للأعصاب .

و يدخل معك فى تحقيقات طو يلة ... كيف عرفت ؟ ومن قال لك هذا ؟ لابد أنه فلان.. ألا تعرف فلان ؟ إنه طول عمره سبب مشاكل . وهو يريد التوقيع بينى و بينك .

فإن قلت له « فلان لا دخل له بالموضوع » . يقول لك « ومن إذن غيره ؟ » ... و يضيع وقتاً طو يلاً فى النقاش بلا فائدة ...

وتضطر أن تختصر الكلام وتسكت ، حرصاً على أعصابك ، وعلى وقتك ...

ولكنه يستمر فى الكلام ، مثبتاً براءته ، مما نسب إليه .. !!

وقد يحكى عن فضائله السابقة !! ليرد بها على الاتهام ، ويخرج بهذا عن موضوع الخطأ المنسوب إليه ...

وإن كان من تعاتبه إمرأة ، تبدأ فى البكاء .

وتظل تبكى وتبكى ، وتندب حظها الذى يوقعها فى مثل هذه الاتهامات (الظالمة) ... كل ذلك بمحاولة لاستثارة مشاعر العطف عليها ، بدون أى منطق مقبول ...

أما أنت فتندم أنك دخلت فى مثل هذا العتاب . وتصمم فى داخلك، أنك لن تعاتب مثل هذا الشخص مرة أخرى ، مهما فعل، ومهما اقترف ضدك من أخطاء ...

* * *

وقد يتكرر الخطأ منه مرة أخرى ، وأمام الجميع ...

وتصمت أنت ولا تعاتب ، حرصاً على أعصابك .

ولكن هذا الشخص يأتى إليك ، ويبدأ الكلام .

فيقول لك «أنا أعرف أن البعض يريد أن يسىء إلى علاقتنا ... إن فلاناً يتقول علىَّ ، وقد أشاع عنى أنى قلت كذا وفعلت كذا ... »

وتصمت أنت ولا تريد أن تدخل فى نقاش لا يجدى ، ولكنه هو لا يصمت ...

ويبدأ فى سلسلة طويلة من الدفاع المثير!

وتقول له : أنا يا أخى لم أتهمك بشيء ولم أعاتبك على شيء .

فيجيب : ولكن غيرك يتهمون . وأنا لم يحدث منى هذا الذى يقولونه .. كلهم يتآمرون عليَّ، بينما أنا أكثر الناس إخلاصاً لك... أنا الذى من أجلك فعلت كذا وكذا...

ولا تعرف كيف تهرب من باقى كلامه، الذى قد يطول ...

١٨

حكمتـان

يقول الحكماء :

من شروط المرافقة ، الموافقة .

ومن شروط المصالحة ، المصارحة .

★ ★ ★

و يقولون أيضاً :

أحياناً يكون صوت الأحداث ، أعلى من صوت الكلام... وأكثر منه فعالية وتأثيراً .

١٩

الفكر والأعصاب

إذا دار حوار بين اثنين ، قد يكون أحياناً هادئاً ، وفى أحيان أخرى تثور الأعصاب . فلماذا ؟

الإنسان القوى فى فكره ، الواثق من قوة منطقه ودفاعه ، يتكلم فى هدوء ، بدافع من الثقة ...

أما الضعيف ، فإذا فقد المنطق والرأى تثور أعصابه ، و يعلو صوته .

٢٠

إنسان بسيط !

كانوا يقولون عنه إنه إنسان (بسيط) !

ومن بساطته إنه كان يصدق كل ما يقال له .. لا يفحص ، ولا يدقق ، ولا يشك ... بل يقتنع بكل ما يقال له ، و يتأثر به .. !

لذلك كان الذى يسبق إليه ، هو الذى يمكن أن يوجهه

و يقوده .. ! وقد يقول له (فلان) ضدك ، و يدبر لك كذا وكذا ... فيصدق .. !

وربما ينصحه بالابتعاد عن هذا الشخص ، وعدم الاستماع إليه ، وعدم تصديقه إن قال شيئاً .. فينفذ كل ذلك ، و يبتعد .

البساطة فى معناها الأصيل ، ليست هى البساطة فى التفكير.

إنما البساطة هى عدم التعقيد . وربما تمتزج بالحكمة ، بغير تعقيد .

(٢١)

العــذر .. والتغطيــة

رأيت فى طريق الحياة لوناً من الناس يكون مستعداً أن يرتكب الخطأ ، مادام أمامه العذر الذى سوف يعتذر به ، إن لامه أحد على هذا الخطأ !! أو إن وجد التغطية التى سوف يغطى بها أخطاءه .. !

ولا يضع فى ذهنه أن التغطية قد تكون واضحة ومكشوفة ... وأن العذر قد لا يكون مقبولاً ... كل هذا أمام الناس ...

أما أمام الله ، وأمام ضميره ، ماذا تجدى التغطيات والأعذار؟!

(٢٢)

العنـــاد

رأيت فى طريق الحياة كثيراً من الذين سقطوا ، وكان يمكن قيامهم ، لولا شيطان العناد ، الذى جعلهم يستمرون فيما هم فيه ، حتى ضاعوا تماماً... وشيطان العناد له أب وأستاذ هو شيطان الكبرياء. وإذا تآمر الإثنان على إنسان ، يمكنهما أن يغلقا أمامه كل أبواب التوبة .

(٢٣)

المواهب العقلية وحدها لا تكفى

فقد يكون الإنسان ذكياً ، وفى نفس الوقت فاشلاً أو مكروهاً...

ذلك إن كان لا يحسن التعامل مع الناس... أو أنه بسبب ذكائه احتقر عقليات الآخرين ، أو عاملهم بكبرياء وبلون من التعالى...

وعلى نفس المقياس ، نقول إن النشاط وحده لا يكفى فى محيط الخدمة .

فلابد أن يصحبه أيضاً بشاشة ووداعة وتواضع ، وحسن التعامل مع الآخرين .

(٢٤)

مقابلة مفاجأة ضرورية

هناك نوع من الناس يأتى فجأة إلى المقر البابوى ، دون أى موعد سابق ، ويطلب مقابلة البابا شخصياً لعرض موضوع يرفض الإفصاح عنه !!

يقال له إن البابا مشغول حالياً بمواعيد مسبقة ، فلا يبالى !

يحال إلى أحد الآباء الأساقفة أو الكهنة الرهبان الذين يعملون مع البابا فى مقره ، فيرفض ! ويصر على مقابلة البابا شخصياً .

يطلب إليه أن يقدم مذكرة بموضوعه إلى البابا ليدرسها ، فيرفض ويقول إن موضوعه لا تصلح له الكتابة !

يقال له : نحدد لك موعداً لتحضر فيه ، فيصر أن مقابلته للبابا

لابد أن تتم الآن ! ولا يمكنه الإنتظار !

ويملأ الدنيا صياحاً وضجيجاً ... ويتهم كل الآباء ...

فكيف يمكن التعامل مع هذا النوع ؟! علماً بأن البعض كان يُسمح له بالدخول، فيقضى ساعات يتكلم، فى موضوع بسيط، متجاهلاً كل مواعيد البابا الأخرى مهما كانت أهميتها !!

(٢٥)

الشجاعة والأدب

رأيت فى طريق الحياة أشخاصاً يحبون أن يدافعوا عن الحق، أو عما يرونه حقاً ! ويؤمنون بأن الإنسان ينبغى أن يكون شجاعاً فى الدفاع عن الحق...

وإلى هنا لا ننسب إليهم خطأ .

أما الخطأ فهو أنهم فى هذه الغيرة، وفى هذه (الشجاعة)، يستخدمون ألفاظاً تخرج تماماً عن حدود اللياقة وعن أدب التخاطب. ولا تليق بأشخاص روحيين... وقد تكون ألفاظهم جارحة، وفيها شتيمة. وتدل على القسوة، وعلى روح كبرياء...

وهكذا يقعون فى مجموعة من الخطايا ...

إن الشجاعة غير التهور ...
والشجاعة تمتدح إن كانت فى أدب .
ولا يصح أن تُمارس فضيلة ، بفقد فضيلة أخرى !!

الفضائل تتكامل وتتعاون . ولا يجوز أن يحطم بعضها بعضاً .

والإنسان الذى يدافع عن الحق ، عليه أولاً أن يأخذ حق الله من نفسه ، قبل أن يأخذه من غيره .

والذى يدافع عن الحق ، عليه أن يستخدم الأسلوب العف ، إذ ليس من حقه أن يجرح أو يهين غيره ، أو أن يتعالى على الغير فيما يسميه دفاعاً عن الحق ...

وربما لا يكون مدافعاً عن حق .
ولا تكون الرؤية واضحة أمامه .

و يكون قد وقع فى خطية أخرى ، هى الظلم والتجنى ...

(٢٦)

أحيانا نظلم الشيطان !!

كثيراً ما نخطىء بإغراء من الشيطان، أو خديعة منه .

وأول خطية للبشرية كانت كذلك ، إذ سقطت أمنا حواء بغواية من الحية (تك ٣) . وحروب الشياطين معروفة، والقديس بولس الرسول يقول « إن محاربتنا ليست مع لحم ودم ، بل مع أجناد الشر الروحية (أف ٦) . كل هذا واضح ومعروف ، ولكن :

ليست كل خطيئة نقع فيها ، سببها الشيطان ...

فكثيرون كلما يخطئون ، يقولون : إنه عدو الخير (أى الشيطان) الذى أوقعنا . وربما يكون سبب سقوطهم ناتجاً عن شهوات قلوبهم وعدم نقاوتهم ، أو ناتجاً عن عادات ثابتة فيهم ، أو طباع اكتسبوها ، أو طباع موروثة ...

ولا يمكن أن يكون الشيطان هو الشماعة التى يعلقون عليها كل أخطائهم .

قد يكون الشيطان متداخلاً فى غالبية أخطائهم، ولكن ليس كلها ...

الإنسان له روح عاقلة حرة. ولاهوتياً ونظرياً يمكن لهذه الروح أن تخطىء بذاتها، بدون تأثير من الشيطان... وعقل الإنسان إذا قادته الشهوات، يمكن أن يخترع أموراً كثيرة.

وعن شهوة الإنسان يقول الكتاب: «ولكن كل واحد يُجرّب، إذا انجذب وانخدع من شهوته» (يع ١ : ١٤).

٢٧

المتكلم .. والسامع

رأيت كثيراً يتكلمون. لا يهمهم أن يصل كلامهم إلى سامعيهم أم لا يصل! المهم عندهم أن يفرغوا ما فى ذهنهم من كلام... سواء تقبلته أذن الغير، أم لم تتقبله. وقد يكون ضغطاً على السامع أن يسمع... ولا يعبأون بالمقاطعة التى تدل على أن السامع لا يريد مزيداً. ولا يبالون بضيق صدره من الكلام أو عدم قبوله... أو على الأقل فهمه وعدم رغبته فى مزيد من الاستفاضة والشرح... المهم أن يتكلموا، ولو أتى الكلام بنتيجة عكسية.

(٢٨)

فى الدفاع عن الحق !

جاء يسألنى و يقول : لست أدرى لماذا أكون موضع نقد من كثيرين، فيما أنا أدافع عن الحق بكل قوتى ؟

فقلت له : أضع أمامك نقطتين فى الدفاع عن الحق، تختبر نفسك من خلالهما . فربما تدرك لماذا أنت موضع نقد...

١ - هل ما تدافع عنه ، هو الحق ؟ أم ما تظنه حقاً ؟!

٢ - ما هو الأسلوب الذى تدافع به عن الحق ؟

★ فكثيراً ما يتحمس البعض لموضوع ما ، و يرون أنه الحق كل الحق، بينما تكون الحقيقة غير ذلك تماماً... و يكون سبب الخطأ هو أنهم لم يفحصوا الأمر جيداً ، ولم يدرسوا الموضوع من كل جوانبه ، ومع كافة الأطراف... و يكون حماسهم فى غير موضعه ، مما يثير عليهم عارفى الحقيقة .

★ كذلك قد يدافع الإنسان عن حق واضح ، ولكن بأسلوب غير لائق ، فيه الهجوم والتجريح والإهانة ، وفيه قسوة الألفاظ

والمعانى ، مما يثير عليه سخط القارىء أو السامع . لأنه ليس من حقه أن يستخدم أسلوباً كهذا فى الدفاع عن الحق ...

٢٩

فى التعامل مع الناس

فى كل علاقة مع الناس ، تقوم بتكوينها أو بإنهائها ، فكر أولاً فى النتائج المترتبة على ذلك ، من كل ناحية .

ولا تكن نظرتك قاصرة على اليوم فقط .

★ ★ ★

فى تعاملك مع الناس ، إحسن انتقاء الألفاظ . وربما تستطيع التعبير عما تريد بلفظة أفضل من لفظة أخرى ، بحيث لا يكون فيها خطأ ، ولا يساء فهمها .

★ ★ ★

أحياناً شدتك على نفسك ، تنعكس على الآخرين أيضاً ، فتعاملهم بنفس الشدة . احترس من هذا . فنفسك تحتملك . ولكن الآخرين قد لا يحتملون ...

لا تكتب خطاباً لأحد ، وأنت فى حالة انفعال . وإن كتبت ، فلا ترسله ، وإنما اتركه يوماً أو يومين أو أكثر ، ريثما يزول انفعالك . وراجعه أكثر من مرة وأنت هادىء ، ربما تغير فيه الكثير، أو تلغيه ...

★ ★ ★

لا تحاول أن تعرف أسرار غيرك ، فلكل إنسان خصوصياته .

★ ★ ★

إن أردت أن تريح الناس ، فافعل ذلك بالطريقة التى يرونها هم مريحة لهم ، وليس حسب فكرك . لأنك ربما تحاول أن تريحهم بأسلوب يتعبهم .

★ ★ ★

لا تفرض رأيك على أحد . إنما قل النصيحة ، واترك غيرك يتصرف بنفسه . ولا تشعره أنك ضاغط على إرادته .

★ ★ ★

كن نسيماً ، ولا تكن عاصفة .

★ ★ ★

الخلطة الكثيرة بكثيرين ، تعطى فرصة أوسع لمعرفة نقائص الآخرين . وما أخطر هذه المعرفة ...

★ ★ ★

لا تتأثر بكل رأى تسمعه ، ولا تجعله يحطم فيك يقيناً قديماً ثابتاً . إنما خذ فترة كافية للفحص والسؤال وتحرى الحقيقة .

★ ★ ★

لا تسأل أسئلة ، يضرك سماع إجاباتها .



النقـــد

قابلت فى طريق الحياة أشخاصاً كل مواهبهم فى النقـد وليس فى البناء . ينتقدون كثيراً ، ولا يفعلون شيئاً إيجابياً .

والنقد سهل . إنما الصعوبة فى البناء . من السهل أن تنقد قصيدة من الشعر . ولكن من الصعب أن تكتب بيتاً واحداً .

وربما ينتقد الإنسان عن غير معرفة . وقد تشرح له الأمور فيعتذر و يقول « ما كنت أعرف » !!

٣١

الصلــح والتصفيــة

عرفت من أحداث وقصص كثيرة : أن الصلح الظاهرى أو السطحى ، **بدون تصفية لأسباب الخصام ... تبقى له رواسب فى القلب :**

تعكر الفكر كلما يتذكر ...

وتعكر القلب معه بما يشعر ...

لا يعتبر صلحاً كاملاً حقيقياً ...

ولا يصل إلى الصفاء إلا بالتصفية .



نتيجــة عكسيَة

رأيت نوعاً من الناس يرسل رسالة يطلب فيها طلباً ، أو يشكــو شكوى . ولكنه يشتط فى الأسلوب مع من يطلب منه ، أو مع من يشكو إليه ، بطريقة فيها عنف شديد أو هجوم ... تجعل

الذى يقرأ الرسالة لا يتعاطف معه ، أو يأخذ عنه فكرة سيئة ...

وتأتى شكواه بنتيجة عكسية ، ولا يتحقق له ما يطلبه .

حقاً ، إن رابح النفوس حكيم . وأسلوب الإنسان قد يتوقف عليه أحياناً نجاحه أو فشله ...

٣٢

لا يرى إلا السواد !

رأيت فى طريق الحياة بعض أشخاص لا يرون إلا النقط السوداء فقط ، أو ما يتخيلونه سواداً . و يملأون الدنيا ضجيجاً وتشهيراً واحتجاجاً . و يفعلون كل ذلك باسم الغيرة المقدسة

ولا يسألون - فى كل ما ينتقدونه - عن حقيقة الأمر... !

وإنما يسرهم أن يهاجموا ، ولا يبالون بشخص الذى يهاجمونه ، ولا بشعوره ، مهما كان ما يقولونه ظلماً ...

والعجيب أن ضمائر هؤلاء لا توبخهم ، بل يحسبون أنفسهم أبطالاً .

(٣٤)

عظة موجهة إلى شخص !!

كان فى كل عظة يلقيها فى الكنيسة ، يوجه كل ما فيها من تعاليم ، وكأنها سهام موجهة إلى شخص معين حاضر فى الكنيسة . حتى كان البعض ينظرون أثناء العظة إلى ذلك الشخص ، ليروا مدى تأثير العظة عليه ، من فرط انطباق الكلام عليه بالذات ...

أما ذلك الشخص الذى رأى نفسه مشرحاً أمام الشعب بهذا الشكل ، فكان عندما يترك الكنيسة ، لا يدخلها مرة أخرى .

وكان الناس يتساءلون : الدور فى العظة المقبلة على مَنْ ؟!

وكانوا فى كل عظة يركزون كلماتها ، ليستنتجوا مَنْ المقصود بها ، وليس لكى يستفيدوا روحياً ...

وكثر الخارجون من الكنيسة إلى غير رجعة ...
من ضحايا أمثال تلك العظات أو السهام .
وتساءل الباقون : أين الكلمة البناءة ؟

٣٥

الأسباب والنتائج

رأيت أشخاصاً كثيرين يحاولون أن يعالجوا نتائج المشاكل، دون أن يعالجوا أسبابها. وتبقى الأسباب قائمة تؤدى إلى نفس النتائج. وكان الأولى بهم أن يعالجوا الأسباب فتزول النتائج تلقائياً...

يذكروننى بإنسان يشكو من بؤرة صديدية فى جسده، من نتائجها أن ترتفع درجة حرارته. فيأتى طبيب ليحاول انقاص الحرارة، دون معالجة سببها الذى هو البؤرة الصديدية! وتستمر الحرارة باستمرار وجود سببها.

رأيت نفس المثال مرشداً روحياً قد يتعب أولاده نفسياً وفكرياً من مشاكل معينة. فيحاول معالجة تعبهم النفسى والفكرى، بالأدوية المسكنة والمهدئة والمنومة، التى تتيههم عن المشكلة حيناً. فإذا زال مفعولها، يرجعون إلى تعبهم النفسى، لأن أسباب تعبهم لا تزال قائمة، فيقدم لهم عقاقير أخرى مهدئة، بلا نتيجة، لأنه لم يعالج الأسباب!!

(٣٦)

اليوم .. والغد

رأيت فى طريق الحياة أشخاصاً يفكرون فى ماذا يفعلون اليوم دون أن يفكروا ماذا تكون النتيجة غداً ... !

وهل حلّ مشكلة اليوم ، يكون بخلق مشاكل للغد ؟!

إنهم يخطون خطوة واحدة، ولا يضعون فى ذهنهم ردود فعلها ، وتأثيرها على الآخرين ، وهل تأتى بنتيجة إيجابية أم عكسية .. !

★ ★ ★

كثيرون يفكرون فى اليوم فقط ، ولا يحسبون حساب الغد !

ولا يضعون فى حسابهم أن ما يفعلونه اليوم، قد يقضى عليهم غداً ، أو على الأقل يسىء إلى مستقبلهم .

أما الإنسان الحكيم ، فلا يفكر فقط فى الغد ، و يعمل لأجله ... إنما يتسع فكره حتى يعمل للغد البعيد ، أى للأبدية .

وكل ما يتعارض مع غده أو أبديته ، لا يعمله .

٢٧

الخــوف

عامل الخوف قد يشلّ حركة الإنسان ، فلا يعمل أى عمل ... !

قد يخاف العوائق ، أو يتخيل أن هناك عوائق ، فيخافها ، ويظن أن السلامة تكمن أن يقف حيث هو، لا يتقدم خطوة واحدة .

وقد يخاف من عاقبة العمل ، أو من الفشل فيه ... ومن خوفه يضع أمامه كل الأمثلة التى فشلت من قبل ...

وهكذا يضيّع الفائدة المرجوة من العمل ، بسبب الخوف ... !



يحطمون

رأيت فى طريق حياتى أناساً يحطمون غيرهم بغير رحمة .. ورأيت أناساً آخرين هم الذين يحطمون أنفسهم ..

ورأيت النوعين يجتمعان معاً فى شخصية واحدة .

(٣٩)

نظرت إليه وأحببته

كانا يسيران فى طريق الحياة معاً .

أو خيّل إلى الناس أنهما يسيران فى الحياة معاً .

الأول منهما يسير ، والعالم أمامه .

والثانى كان يسير ، والعالم خلفه ...

أما أنا فقد نظرت إلى الثانى ، وقد طرح العالم خلفه ، ولم يجعل أمامه سوى الله ، وأبديته .

وأحببته جداً ...

(٤٠)

الرأى الخاص

من الأمور التى أتعبتنا كثيراً فى هذا الجيل ، أن البعض ينشر رأيه الخاص ، وكأنه عقيدة كنسية ثابتة ...

إنه لون من الثقة الزائدة بالنفس ، يزحف إلى نطاق

اللاهوتيات، و يقفز إلى منبر التعليم . وتكون له خطورته إذا تشبث صاحبه به ...

وقد يكون هذا الرأى الخاص ثمرة لقراءات غريبة، ولا سند له فى تقليد الكنيسة، أو أقوال أبائية. وقد يكون رأياً فى شىء جديد لم يطرقه الآباء... ولكنه لا يعدو أن يكون مجرد رأى... وليس عقيدة .

٤١

أعظم من سيادة القانون

مبدأ (سيادة القانون) أمر لازم وجوهرى لكل بلد لحفظ الأمن والاستقرار.

ولكن هناك أمراً أعظم من سيادة القانون... ألا وهو عدالة القانون.

وسيادة القانون ترتكز فعلاً على عدالة القانون. والقانون الذى لا يتصف بالعدالة، لا يمكن أن يسود. بل لابد أن الضمير يثور عليه، و يظل يقاومه حتى يُلغى أو يتغير.

٤٢

نملة ..

طوال حياتى كلها ، لم أرَ نملة واحدة واقفة ، أو تتفرج على غيرها ... وإنما الكل فى عمل دائم لا يتوقف لحظة أو لحيظة ، وفى تعاون كامل من أجل تنفيذ غرض مشترك ...

فقلت فى نفسى : لو أن الله قد خلق النملة من أجل أن تعطينا هذا الدرس وحده ، لكان هذا يكفيها كرسالة لها فى الحياة ...

٤٣

فى مقابلة المشاكل

رأيت فى طريق الحياة ثلاثة أنواع من الناس ، يقابل كل منهم المشكلة بأسلوب غير أسلوب الآخر.

فمنهم من يقابل المشكلة بالعقل والتفكير محاولاً أن يجد لها حلاً . ومنهم من يقابلها بالروح وبالإيمان ، مصلياً إلى الله أن يرسل الحل . أما النوع الثالث ، فيقابل المشكلة بأعصابه ، فينفعل ،

ويضج ويثور، أو يتألم فى داخله، أويشكو ويتذمر. وتبقى المشكلة كما هى مع هذا النوع الأخير.

ويتعب، ليس بسبب المشكلة، إنما بسبب أعصابه وانفعاله...

٤٤

الثقة

عماد التعامل ما بين الناس، هو بلا شك: الثقة.

إن ضعفت الثقة، يدخل الشك إلى النفس، وحينئذ يصبح التعامل صعباً، وحينئذ يحتاج المرء إلى حرص وتحوطات ومراقبة أمور ليضمن سلامة الوضع.

أما إذا فقدت الثقة تماماً، فإن التعامل أو التعاون يصير مستحيلاً.

والثقة تُبنى على أمور كثيرة: لعل من أهمها: الصدق، والأمانة، والاخلاص. إلى جوار الثقة أيضاً فى الكفاءة والقدرة.

٤٥

المثاليات

قابلت فى طريق الحياة أشخاصاً لا يتحدثون عن المثاليات العالية ، إلا حينما يطلبونها من الآخرين ، أو حينما ينتقدون الغير على عدم السير فيها ..

فالمثاليات عندهم مجرد دروس يلقونها على الغير.

وكما قال البعض إنها «للتصدير الخارجى ، وليس للاستعمال المحلى» !

أما أنت يا أخى فقدّم المثاليات عملية فى حياتك ، قبل أن تقدمها دروساً لغيرك ، ربما يكون من الصعب عليهم تنفيذها ...

٤٦

الصمت !

فى كثير من المواقف يكون الصمت أفضل . ليس فقط صمت اللسان ، وإنما صمت الملامح أيضاً . لأن هناك من تصمت أفواههم ، وتكشفهم ملامحهم .

(٤٧)

أفكار أجنبية !!

رأيت فى محيط الخدمة فى الكنيسة أشخاصاً قادرين على معرفة لغة أجنبية . و يقرأون كتباً دينية أجنبية . ثم يعتنقون ما فيها من آراء مخالفة لعقيدتنا ولاهوتياتنا . ثم يتدرجون إلى نشر تلك الأفكار داخل الكنيسة . و يصبحون خطراً يحتاج إلى مقاومة ، بقدر ما تنتشر أفكارهم ، أو الأفكار التى جلبوها من الكتب الأجنبية ...

(٤٨)

سرّ مشترك

إنك قد تسمح لنفسك أحياناً أن تحكى أسرارك الخاصة للناس . وربما تصيبك أضرار بسبب معرفة الآخرين لهذه الأسرار وتداولها بينهم .

ولكن الأخطر من هذا ، أن تحكى أسرار غيرك معك . وهى أسرار مشتركة لا تملكها وحدك !

وربما هناك علاقات لك مع أهل بيتك، أو مع أحباء لك وأصدقاء، أو مع خطيبتك أو زوجتك، أو مع رئيس لك فى العمل، أو زميل إئتمنك على سرّ...

أنت لا تملك الحق فى إفشاء شيء من هذه الأسرار، وإلاّ فإنك تسيء إلى العلاقة التى تربطك بكل هؤلاء...

(٤٩)

شركة آلام المسيح

رأيت فى طريق الحياة أشخاصاً - إذا أخطأوا وعوقبوا - يتحدثون عن شركة آلام المسيح. و يستخدمون آيات مشهورة مثل «إن كنا نتألم معه، فلكى نتمجد أيضاً معه» (رو٨: ١٧). وأيضاً «مع المسيح صُلبت...» (غل٢: ٢٠). و يوردون قصصاً عن الشهداء، وأمثلة مثل رجم اسطفانوس!!

إن الذى يخطيء فيعاقب، لا يتألم مع المسيح.

إنما يتألم معه، و يصلب معه، و يتمجد معه، الذى يتألم من أجل الحق والإيمان، وليس من أجل خطأ. وقد شرح القديس بطرس الرسول هذا فقال «.. فلا يتألم أحدكم... كفاعل شر، أو

متداخل فى أمور غيره» (١بط ٤ : ١٥) ... أما عن الألم مع المسيح فقد عبر عنه بقوله :

« إن تألمتم من أجل البر، فطوباكم» (١بط ٣: ١٤).

أما إن كان إنسان يتألم من أجل أخطائه، فليميز آلامه عن آلام المسيح و يقول مع اللص اليمين «أما نحن فبعدل جوزينا، لأننا نلنا استحقاق ما فعلنا» (لو٢٣: ٤١).

٥٠

نوعان من الأعداء

قلت له : إنك تخلق لنفسك أعداء كثيرين فى كل يوم.

فقال لى : والمسيح أيضاً كان له أعداء، مثل الكتبة والفريسيين والصدوقيين وشيوخ الشعب. والقديس أثناسيوس قيل له : العالم كله ضدك يا أثناسيوس.

فأجبت : ولكن هناك فرق بين أعداء وأعداء. أعداء نخلقهم لأنفسنا بأخطائنا، أو بسوء معاملتنا لهم. وأعداء من نوع آخر يعادوننا بسبب الحسد والغيرة، أو بسبب محاربتهم للإيمان.

٥١

تدريب على الحفظ

إذا دربت نفسك على أن تحفظ آية واحدة من الكتاب المقدس كل يوم، لأمكنك فى السنة أن تحفظ ما لا يقل عن ٣٦٥ آية ...

وقد تنمو فيك عادة الحفظ، بل قد تتحول إلى شهوة لحفظ آيات الكتاب، فيتضاعف هذا الرقم.

جرّب، ودرّب نفسك.

٥٢

استفادوا من سقوطهم

قابلت فى طريق الحياة بعض الأخوة، سقطوا، واستفادوا من سقوطهم، فصاروا أكثر حرصاً، وأكثر اتضاعاً، وأكثر شفقة وحناناً على الذين يسقطون ... حتى كنا نستفيد من مجرد منظرهم.

أعرف واحداً منهم صار من الآباء الكهنة مثل القديس موسى الأسود. وكان مثالاً للوداعة والطيبة. وكان كل من يقابله يحبه.

وكان يختلف تماماً عن اشخاص آخرين لم يشعروا أن لهم خطايا سابقة ، وفى كبرياء كانوا ينتهرون غيرهم ، و يقسون فى أحكامهم جداً ، حتى أصبح البعض يخافهم ... !

وتذكرت مع الفريقين قصة الفريسى والعشار .

٥٣

نقبلهم كما هم ..

علمتنى الحياة ، أنه مادام لا يوجد كامل إلا الله وحده ، ومادام كل إنسان ـ مهما سما ـ له أخطاؤه ...

إذن يجب أن نقبل الناس كما هم ، بأخطائهم .

لا نخسر إنساناً ونفقده ، بسبب خطأ معين فيه . وإنما نحتمل هذا الخطأ . ونعامل هذا الإنسان فى حدود ما نستطيع ، ونستفيد من جوانب حياته الأخرى التى لا تخلو من فضيلة ، وفائدة ...

لأنه لو كان كل خطأ من إنسان يجعلنا نقاطعه ، لكانت النتيجة أن نقاطع الكل ، ونعيش وحدنا !!

نحن أيضاً لنا أخطاء ، يحتملها الناس ...

٥٤
وضع مقلوب !

رأيت فى طريق الحياة بعضاً من أبناء الكنيسة، لم تمكنهم روحياتهم من الخضوع لأمهم الكنيسة...

فأصروا على أن تخضع الكنيسة لهم، وإلاّ...

٥٥
الأمس قد فارقك

علمتنى الحياة أن الإنسان لا ينظر مطلقاً إلى خلف. بل ينسى ما هو وراء ويمتد إلى قدام (فى ٣ : ١٣).

الأمس ليس فى يدك. لقد فارقك إلى غير رجعة. أما الحاضر فهو فى يدك. والمستقبل تستطيع أن تعمل من أجله.

والذى يتطلع إلى الأمام، يتقدم بغير توقف. وتمتد نظراته حتى إلى الأبدية، وإلى الله...

٥٦

اللــه والمشكلة

علمتنا الحياة ألا ننظر إلى المشكلة .

إنما ننظر إلى الله الذى يحل المشكلة ...

شعورنا بأن الله واقف معنا فى مشاكلنا ، أو واقف بيننا وبين مشاكلنا ... هذا الشعور يمنحنا قوة ورجاء .

٥٧

عقليـة مـن تكلمـه

عليك أن تراعى عقلية من تكلمه . وهل هو يحتاج إلى شرح كثير لما تعرضه عليه ، أم تكفيه جملة بسيطة ، ويدرك الموضوع كله ...

فإن وجدت محدثك قد فهم موضوعك ، لا تكرر الكلام باطلاً ، ولا تتعبه بكثرة الضغط والالحاح ، ولا تضيع وقته محاولاً أن تفهمه شيئاً قد فهمه من أول حديثك وانتهى الأمر...

(٥٨)

الحوار اللاهوتى

البعض يظن أن المناقشة فى العقيدة، معناها أن يجرح الطرف الآخر، و يتحول من الموضوعية فى الحوار إلى النواحى الشخصية ... !

بينما المفروض فى رجال اللاهوت ، أن يكونوا على مستوى من الحياة الروحية ، بحيث لا يخرجهم جدلهم عن حفظ الوصية .

ليس المطلوب فى الحوار اللاهوتى مجرد الانتصار فى النقاش ، إنما أيضاً كسب الطرف الآخر بقدر الإمكان ...

أو على الأقل لا نخسره كإنسان ...

(٥٩)

التعبير عن الأرثوذكسية

عرفت من خبراتى فى الحياة أن الإيمان الأرثوذكسى السليم ليس هو مجرد كلمات فى العقيدة يقولها الواعظ أحياناً ، لكى يغطى

بها على عدم اهتمامه بالعقيدة. فتكون كرقعة لا تتناسب مع أسلوبه العام...

إنما الأرثوذكسية هى كالدم الذى يسرى فى عروق عقيدته، تظهر فى كل عظاته وتعليمه، كما تظهر فى حياته وأسلوبه، طبيعية بغير افتعال ولا اصطناع... بحيث يمكنك أن تدرك من أول وهلة، وفى كل خطوة، أن هذا الإنسان أرثوذكسى لا غش فيه...

٦٠

يرفضون ويندمون!

هناك أشخاص يرفضون أمراً ما مراراً عديدة. ثم تفوتهم الفرصة... و يعودون فيشتهون ما قد رفضوه قبلاً، ولا يجدونه...

وقد يكون الرفض بدافع انفعالى، ينقصه العمق وحكمة التفكير الهادىء.

ما أحوج الكثيرين إلى أن يفكروا طو يلاً قبل أن يرفضوا. فالرفض المبنى على اقتناع سليم، لا يعقبه ندم ولا شهوة...

٦١

متى تعرف نفسك ؟

الإنسان لا يعرف نفسه على حقيقتها، إلا وهو فى حالة ضعف . أو على الأقل، لا تتكامل أمامه صورة نفسه ، إلا وهو فى حالة ضعف .

ولعل هذا أحد الأسباب التى لأجلها يسمح الله بالضعفات لقديسيه ، لكى يروا أنفسهم على حقيقتها، فيتضعون ...

٦٢

مِن أجل قديس !

رأيت فى بعض الأحيان أشخاصاً يطلبون منا- من أجل قديس معين- أن نفعل شيئاً لا ترضى عنه ضمائرنا !!

فكنا نعتذر ونقول : وهل يرضى هذا القديس الذى نحبه ، أن نفعل هذا الشيء الذى لا يمكن أن هذا القديس يحبه ؟!

أو أحياناً يجيب البعض : وأنا من أجل هذا القديس ، ومن أجل الحق الذى يحبه ، لا أستطيع أن أفعل هذا الشيء ...

يا أخى ، فى مثل هذه الأحوال : لا تجعل ضميرك يتعبك إن رفضت ما يطلبون .

٦٣

الراحة .. لمن ؟

فى كل ما نقوم به من أعمال ومسئوليات داخل الكنيسة :

هل نجعل الأولوية والأهمية : لراحة العمل ؟ أم لراحة العامل ؟

المفروض أن نريح الإثنين : العمل والعامل . ولكن ...

هل نضحى بالعمل من أجل العامل ؟

أو هل نجامل العامل على حساب العمل ؟

لا شك أن العامل قد وُضع من أجل العمل .

وليس العمل من أجل العامل ...

إن كان عمل الرب ، فليتعب كل عامل من أجله . وكل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه (١كو٣ : ٨) .

٦٤

مجـامـلة

علمتنا الخبرة فى الخدمة ، أن نراعى شعور الناس ...

ولكن لا نجاملهم على حساب الخدمة .

لا نأخذ بالوجوه ، ولا نخسر بناء الملكوت لأجل الناس . وإلا فإننا نضيع الكنيسة من أجل شخص أو أشخاص .

المجاملة ضد الحق ، توقفنا متعبين أمام ضمائرنا ، وأمام الله ... صدق بولس الرسول حينما قال :

« لو كنت بعد أرضى الناس ، لم أكن عبداً للمسيح » (غل ١ : ١٠) .

يقصد إرضاءهم بطريقة لا يرضى بها الله ...

٦٥

طاقات

بعض الناس طاقات كبيرة ، إن لم تستخدم فى الخير، يمكن أن تعمل فى الشر. ومن المحال أن تبقى بلا عمل ...

كيف يمكن جمع هذه الطاقات واستخدامها ؟ أو كيف يمكن تحويل خط مسارها ؟ هذا هو العمل الكبير الذى يقوم به الروح القدس من خلال القيادات ...

٦٦

طريق لا يوصل

رأيت فى طريق الحياة أشخاصاً يسيرون فى طريق لا يوصلهم إلى شيء ، بل ربما كله متاعب .

ومع ذلك يستمرون فى السير ، فى نفس الطريق ، بنفس المتاعب ، وبلا نتيجة ... وبلا رجوع .

يقيناً أنه لا يوجد أب روحى لهم . لأنه لا يمكن لأب روحى

أن ينصح بالبقاء فى نفس الوضع بلا أمل...

أو ربما يظن البعض أن الإصرار شجاعة !.. لقد ظن فرعون أنه يقلل من مركزه لو أنه تراجع. وبقى على صلابته. فماذا كانت النتيجة ؟!

٦٧

صـــــراع

هناك خدّام حياتهم ضائعة فى صراعات .

تشغلهم مشاكل الخدمة عن الخدمة ذاتها .

وتشغلهم السلبيات عن العمل الإيجابى .

حياتهم كلها اصطدامات ، وشرح لمواقفهم ولمواقف الآخرين منهم ، مع ما يتبع كل ذلك من أخطاء روحية أخرى .

والخدمة أيضاً ضائعة ، لأنها فى جو غير مناسب روحياً !!

متى يركزون فى العمل الروحى البناء ، وحينئذ ستختفى المشاكل تلقائياً ، أو على الأقل تأخذ وضعاً جانبياً ...

٦٨

لا تخسر الناس

ليتنا لا نخسر الناس ، حتى لو ضغطنا على أنفسنا ...

حتى لو كانوا هم المخطئين ...

وإلا فما معنى قول الرسول « المحبة لا تطلب ما لنفسها » (١كو١٣) .

لا تخسر أحداً إلا لضرورة لا يحتملها ضميرك (متى٥ : ٢٩) .

ولنتدرب على فضيلة (التنازل) ...

٦٩

يذكرونني بالمرآة

رأيت أناساً يذكرونني بالمرآة ، التي تريك آخر وجه يكون قد نظر إليها ، أى يقدمون لك فكرة آخر شخص جلسوا إليه وترك بصماته على أفكارهم .

٧٠

فكـــرة

أكبر مشروع ، أوله فكرة .

لذلك من المهم أن يوجد أشخاص لهم موهبة التفكير، ولهم أيضاً متسع من الوقت للتفكير.

إن لم تكن موهبتك التفكير، فاعتمد على خبراء أذكياء، يفكرون .

٧١

النـاس أعـداء مَـا جهـلوا

كثيراً ما يهاجم الناس أموراً نتيجة لجهلهم بحقيقة تفاصيلها ، أو حقيقة دوافعها ، أو الحكمة فيها .

فإن شُرح لهم الواقع ، يقولون : نحن نأسف ، ما كنا نعلم .

ليتك تفحص قبل أن تهاجم .

٧٢

تـوافـــه

هناك موضوعات لاتستحق النقاش إطلاقاً ، ولا تستغرق الوقت الذى تستغرقه ...

حقاً ما أكثر أحاديث الناس فى التوافه ، أو فى أمور لا تعنيهم ، أو فى مسائل ليسوا هم متخصصين فيها ، ومعرفتهم فيها سطحية ...

أمثال هذه الأحاديث ، تدل على احتقار الناس لوقتهم . والوقت جزء من الحياة ... !



مسـألـة جـانبيـة !!

رأيت فى طريق الحياة نوعاً من الناس : إن واجهته بخطأ جسيم صدر منه ، أو عبارة خاطئة قد قالها ، لا يناقش معك هذا

الموضوع ، إنما يتطرق إلى مسألة جانبية و يركز عليها !! وهكذا يسأل :

من أوصل هذا الكلام ؟ أريد أن أعرف اسمه لأناقشه ..

وما قصده ؟ ألعله يريد أن يفسد العلاقات ؟

وكيف عرفت ؟ ومتى ؟ وهل هذا الذى تكلم سمعنى شخصياً وأنا أقول هذا ؟ أم سمع من آخرين ؟ ومن هم ؟

و يظل يتحدث عن خطورة الناس الذين لهم التأثير على العلاقات بتوصيل أخبار... فى وسط هذا كله ، ينسى الموضوع الأصلى ، ولا يجيب عليه ، لأنه دخل فى مسائل جانبية .

٧٤

نجاح التدريب

ليس نجاحنا الروحى فى كثرة التداريب الروحية التى نفرضها على أنفسنا . إنما نجاحنا هو فى التدريب الذى يتحول فعلاً إلى حياة .

★ ★ ★

٧٥

لماذا يسمح ؟!

قال لى أحدهم : لماذا يسمح الله أن تقع علىَّ هذه الضيقة ، وأتألم بسببها ؟

فقلت له : وهل كنت تشكر الله حينما كنت تحيا فى راحة ، بعيداً عن الضيقة ؟

وهل لو أنقذك الله من هذه الضيقة ، ستشكره على ذلك ، أم سوف تنسى كما نسيت حفظه لك من قبل ... وتستمر ناسياً إلى أن تقع فى ضيقة أخرى !!

وحينئذ تذكر ، وتشكر !

٧٦

يشكو ويريد

أحياناً يشكو إنسان من سماع شيء . ويكون هو الذى سعى إلى هذا السماع ، أو على الأقل شجع عليه .

٧٧

الحب والشهوة

سؤال وجّهه إليَّ أحد الصحفيين فى أواخر نوفمبر سنة ١٩٧١م :

ما هو الفرق بين الحب والشهوة ؟

فأجبته :

الحب يريد دائماً أن يعطى .
والشهوة تريد دائماً أن تأخذ .

٧٨

مشكلة الإمكانيات

علمتنا الحياة أن العزيمة أهم من الإمكانيات .

فالرجل الضعيف لا يعمل . و يعتذر عن عدم العمل، بعدم وجود الإمكانيات اللازمة للعمل .

بينما الرجل القوى، قد يقف فى نفس الموقف، بلا

إمكانيات ... ولكنه يفكر ويجاهد للحصول على الإمكانيات ، حتى يوجدها ، أو حتى يمنحه الله إياها نتيجة لصموده ، وثبات إرادته ، وجهاده وبحثه ، وإلحاحه على الله فى الصلاة أن يمنحه الإمكانيات ...

أية إمكانيات كانت مع مارمرقس الرسول لما جاء إلى مصر؟!
لا شىء... ولكنه مع ذلك عمل كل شىء ، بصموده وعمل الله فيه ...

(٧٩)

أين المنفعة ؟ وأين الضرر ؟

رأيت فى طريق الحياة أناساً بدلاً من أن يصلحوا وضعهم ، يزيدونه حرجاً وتعقيداً ... إنهم لا يعرفون منفعتهم من ضررهم !

وفحصت عن السبب . فوجدت بعضهم بسبب عدم الإفراز يتصرفون هكذا . والبعض بسبب نقص الإرشاد الروحى السليم .

والبعض بسبب محاولة تبرير الذات يقعون فى أخطاء جديدة ، مثلما حاول أبونا آدم أن يبرر نفسه أمام الله ...

والبعض تزداد حالتهم سوءاً بسبب العناد .

والبعض بسبب الكبرياء ، والاحتفاظ بكرامة « الأنا » .

أما المتواضعون فيعطيهم الرب نعمة . وفخاخ الشيطان يفلتون منها ...

٨٠

وأنت فى العربة

وأنت مسافر فى عربتك ، تقطع طريقاً طويلاً ، كيف تراك تقضى وقتك أثناء هذا الطريق ؟

هل تقضيه فى حديث مع مرافقك فى السفر، متحدثاً فى أى موضوع لمجرد قطع الوقت .. ؟!

أم تقضيه مفكراً ، أو مركزاً فى المرور؟ ...

يمكنك خلال السفر أن تدير شريطاً من الكاسيت ، تسمع فيه عظة ، أو لحناً ، أو موسيقى من خورس الكنيسة ...

وبهذا تستفيد روحياً ، كما تقضى وقتاً مقدساً .

٨١

خصوصيات Privacies

كل إنسان له خصوصياته التى يحتفظ بها كسرّ...

وليس من حق أقرب الناس إليه ، أن يتدخل فى خصوصياته ، ومن أشر مساوىء الفضوليين ، بحثهم عن خصوصيات غيرهم ...

وكم ندم كثيرون على البوح بخصوصياتهم ...



ماذا تعلّم ؟

سألت خادماً ماذا تعلّم الناس ؟

أهو فكرك الخاص ؟

أم عقيدة الكنيسة ؟

أم أفكار الآخرين ؟ سمعتها منهم ، أو قرأتها فى الكتب ...

أم أنت تحاول أن تجعل فكرك الخاص عقيدة للكنيسة ؟!

أو تنقل أفكار الناس ، لتدخلها إلى الكنيسة، وكأنها منها ؟!

(٨٣)

الوقت الضائع

رأيت فى طريق الحياة أشخاصاً يضيعون وقتهم فيما لا يفيدهم، ولا يبنى حياتهم الروحية، ولا يفيد غيرهم فى شىء فرثيت لهم. وقال لى البعض: لماذا لا ترد عليهم؟

فأجبت: أتريدنى أن أضيع وقتى أيضاً فيما يضيعون فيه وقتهم ؟! العمل الايجابى هو الأفيد...

لا نريد أن يستدرجنا السلبيون إلى سلبياتهم ...

إن الوقت الضائع خسارة كبيرة، لأنه جزء من حياتنا.

(٨٤)

علاقتنا بالفضائل

رأيت فى طريق الحياة أناساً يسلكون فى إحدى الطرق الآتية:

١ - الجهاد من أجل الفضيلة، ويحتاج الأمر فى ذلك إلى قوة

إرادة وثبات وصبر. وهذه درجة للمبتدئين، وتمثل (الباب الضيق) (متى ٧: ١٣).

٢ - تلقائية الفضيلة عن طريق التعود، حتى تصبح طبعاً فى الإنسان، لا يحتاج إلى جهد، ولا إلى إرادة.

٣ - الفرح بالفضيلة والنمو فيها.

٤ - حياة الحب الكامل، الذى لا يقاس بالفضائل، إنما تصبح الفضائل فيه مجرد تعبير عن الحب.

(٨٥)

متى يتكلمون

رأيت فى حياتى كثيرين، يتكلمون عن الشجاعة حينما لا يكون هناك خطر، أو حينما يكون الموقف الباسل مطلوباً من غيرهم وليس منهم...

ولكنهم يتكلمون عن الحكمة والحرص، حينما يدركهم الخوف...

ليست هناك أمامهم قيم أو مبادىء ثابتة. إنما تتشكل المبادىء والقيم بحسب الأجواء، وبحسب ما يتوقعون من نتائج، فى صالحهم أو ضدهم....

ربما لو أتيح لهم أن ينصحوا يوحنا المعمدان، لقالوا له: لا تتهور فى حديثك مع هيرودس! إن الحكمة فى أن تبعد عنه! أتركه وشره!

(٨٦)

المشاكل

حل المشاكل أمر هام، والكل محتاج إليه.

ولكن الأهم من حل المشاكل، تفادى المشاكل.

وهذا يحتاج إلى حكمة شديدة، ومعونة من النعمة.

وإن جاءت المشاكل كمحاربة، تحتاج إلى صلاة.

٨٧

سبت لا ينتهى ..

كتبت فى مذكرتى فى بدء رهبنتى العبارات الآتية :

« حياتى كلها سبتٌ ... كلها يوم للرب »

ها قد انقضت أيامى الستة ، التى تعبت فيها عاملاً فى الأرض .

ودخلت يارب فى سبتك الذى لا ينتهى ...

الذى لم يقل عنه الكتاب : كان مساء وكان صباح يوماً سابعاً !

لقد استراحت حواسى من كل ما كان يشغلها فى العالم .

وأصبحت علاقتى بالناس، كعلاقة مسافر بمناظرتبدو من نافذة قطار يسير بسرعة فائقة ... !

٨٨

مال الله .. لمن

هناك فرق بين المحتاجين والمحتالين .

والشفقة على الفقراء ، ليس معناها أخذ مال الله ، الذى هو من حق المحتاجين ، وتسليمه للمحتالين .

لذلك فالتوزيع يحتاج إلى حكمة .

٨٩

المعرفة والتطبيق

كثيرون يبحثون عن المعرفة ...
وقليلون يهتمون بالتطبيق ...

المهتمون بالمعرفة ، يقرأون كثيراً ، و يسألون كثيراً ، و يزحمون عقولهم بالمعلومات من شتى المصادر.

وقد يتحولون إلى علماء ...

أما الذين يهتمون بالتطبيق، فالقليل الذى يعرفونه يستفيدون منه عملياً فى حياتهم.

و يهتمون بالتداريب الروحية أكثر من القراءة.

يهتمون بالبر، أكثر من المعرفة.

يحبون أن يكونوا قديسين، لا علماء ..

الروح عندهم أهم من العقل.

والعقل والمعرفة مجرد خادمين للروح. فهم لا يبحثون عن المعارف التى لا تفيدهم روحياً، بل يختارون ألوان المعرفة التى تساعد على تنقية قلوبهم.

فأى نوع من الإثنين أنت ؟



الحكمة

الحكمة قد تكون فضيلة قائمة بذاتها. ولكنها فى نفس

الوقت يجب أن تتخلل جميع الفضائل الأخرى.

فكل فضيلة يمارسها الإنسان بدون حكمة، لا تأتى بالنتيجة الروحية المطلوبة، وربما ينتج عنها ضرر.

ومن مصادر الحكمة : الصلاة، والكتب، والمعلمون والمرشدون، وآباء الاعتراف.

٩١

المعارضة في الكنيسة

رأينا فى حياتنا الكنسية أن البعض باسم الدفاع عن (الديمقراطية)، ينادون بوجوب وجود (جبهة معارضة) فى الكنيسة ... فهل يتفق هذا مع روح الكنيسة ووحدتها.

قد توجد (معارضة) فى بعض التنظيمات السياسية أو التشريعية. أما الكنيسة فتقوم على نظام (الروح الواحد).

يقول الكتاب : وكان لجمهور الذين آمنوا رأى واحد، وروح واحد.

وهم أيضاً يعلمون بقلب واحد ، وفكر واحد ، وإذا صلوا يرفعون صوتاً واحداً إلى الله . هذه الوحدة فى الرأى هى التى تقوم عليها الكنيسة .

أما (الرأى الآخر) فيوجد فى الحوار البناء والمناقشة الهادئة ، وليس فى (المعارضة) .

الكنيسة هى جسد واحد ، كل أعضائه تتعاون معاً . ولا توجد معارضة فى إتساق عمل هذا الجسد .

إن كلمة (المعارضة) هى استعارة من الجو السياسى ، يقحمها البعض فى الجو الدينى .

٩٣

مَن يخضع لمَن ؟!

رأيت فى طريق الحياة اشخاصاً لم يستطيعوا أن يخضعوا للكنيسة ، فيبذلون كل جهدهم لكى تخضع الكنيسة لهم !!

والعجيب أنهم يجدون من يساعدهم على ذلك !!

٩٣

مجرد فكرة

كل مشروع عظيم بدأ بفكرة ، ولكنها فكرة نبتت فى عقل إنسان جاد، حوّلها إلى عمل. وتدرجت حتى نمت وتكاملت، وارتفع شأنها.

لذلك لا تقف عند حدود فكرة جميلة، إنما حوّلها إلى حياة ...

٩٤

مدى زمنى

إن الصبر يحل مشاكل كثيرة.

مشاكل قد يعجز الفكر عن حلها. ولكن بالوقت يمكن أن تُحل.

قد تكلم شخصاً فى موضوع معين، فلا يوافق. لا تلح عليه

كثيراً. فربما الإلحاح يتعبه. أتركه قليلاً. فقد يعيد التفكير فى الموضوع فيقتنع. أو قد تحدث حوادث معينة ترجح إليه رأيك. أوقد يستشير آخرين فى نفس الأمر مَمن يثق بهم، وتكون لهم نفس وجهة نظرك.

أمور كثيرة تحتاج إلى مدى زمنى. تحتاج إلى فترة حضانة داخل العقل، حتى تنمو وتنضج.

أما هواة السرعة، فقد يخسرون مواقف عديدة بطريقة سرعتهم.

حتى الأمور التى تحتاج فقط إلى موافقتهم ...

قد تحتاج هذه الأمور أيضاً إلى فترة زمنية للدراسة والتفكير ومزيد من الفحص، ومن الاستشارة.

٩٥

عربة وعربة

وكنت سائراً أيضاً فى الطريق، فرأيت عربة كارو، وعربة

مرسيدس فخمة . وكان الناس يتعجبون كيف تسير هذه إلى جوار تلك !

أما أنا فقلت لنفسى كلاهما لازمتان . فما تستطيعه الكارو من حمل الجوالات والأثاثات ، لا تستطيعه عربة المرسيدس . إن المجتمع يحتاج إلى كلتيهما . وكل منهما نافعة وناجحة فى حدود امكانياتها واختصاصاتها ... كأعضاء جسم الإنسان ...

٩٦

نصف دقيقة !!

كثيرون يطلبون منى موعداً للمقابلة . وإذ أكون مشغولاً جداً ، والزحام حولى شديداً ، يقولون « لن يستغرق لقاؤنا أكثر من خمس دقائق » .. ولكن إن قابلتهم تتحول الدقائق الخمس إلى ساعة أو ساعتين أو أكثر...

ولكى لا أظلمهم ، أقول إن البعض منهم ربما يقصد بالخمس دقائق ، الوقت الذى سيعرض فيه مشكلته أو ما يحتاج إليه . أما مناقشته تلك المشكلة أو الحاجة ، فهى التى تحتاج إلى ساعة أو

أزيد ... !

ومن أغرب هذه اللقاءات ، ما حدث معى منذ حوالى ٢٢ أو ٢٣ سنة (حوالى سنة ١٩٦٩) ، وكنت خارجاً من الاجتماع العام ، فوجدت شخصاً واقفاً على باب مكتبى فى أسقفية التعليم ، و يطلب موعداً هاماً جداً ، لأمر خطير يتوقف عليه مصير حياته ... ! فقلت له «تعالَ يا ابنى فى وقت آخر، لأنى لا استطيع أن أفتح مكتبى لأحد بعد الاجتماع العام، وإلا ازدحمت حوله هذه الآلاف من الناس التى تراها ...

ولكن ذلك الشخص ألحّ ، وقال لى : صدقنى ، أمام الله ، لن يستغرق اللقاء أكثر من نصف دقيقة . وأعدك بهذا أمام الله ... وهنا تعب ضميرى : كيف أمنعه عن نصف دقيقة ، لأمر خطير جداً ، يتوقف عليه مصير حياته ! ففتحت له المكتب ، ووقفت استمع إليه فقال :

«مشكلتى أننى يئست جداً من حياتى ، وقررت أن أنتحر ...» .

هل أخذت يا سيدى من وقتك أكثر من نصف دقيقة كما وعدتك ؟ ...

٩٧

مِـــن داخــل!!

حينما تأتى المتاعب من أعداء الكنيسة الخارجين ، نقول :
هذا صليب نحتمله من أجل الرب ، ومن أجل الإيمان ...
ولكن حينما تأتى المتاعب ممن هم داخل الكنيسة ،ماذا نقول ؟!
قال بولس الرسول « بأخطار من جنسى ، بأخطار من الأمم »
(٢كو ١٢ : ٢٦) .

٩٨

استـــثنـــاء

أحياناً بعد دراسة طويلة وفحص- نضع نظاماً نافعاً ، يقتنع به الجميع ، و يرحبون به ، و يرونه قاعدة يلتزمون بها لخيرهم .

ووسط هذا الإجماع ، يقف أحدهم و يطلب استثناء من هذه القاعدة ، لأن له ظروفاً خاصة وأسباباً تدعو إلى ذلك .

وإذا بجرأة هذا الشخص فى طلب الخروج عن القاعدة، تشجع غيره أيضاً فيطالبون بالمثل... فهم أيضاً لهم ظروف خاصة، وهناك أسباب لذلك، يعرضونها ... و يلحون جميعاً على طلب الاستثناء ...

وإن قبلنا استثناء شخص من القاعدة، يتحول هذا الاستثناء إلى قاعدة.

أو على الأقل يتحول إلى سابقة يعتمد عليها الآخرون فى طلب المعاملة بالمثل. وإلا يتهموننا بعدم المساواة فى المعاملة ...

والعجيب أن الشخص الأول الذى طلب كسر القاعدة بالاستثناء، يقول إنه طلب ذلك بدافع من الدالة والمحبة !!

وباسم الدالة والمحبة يتحطم النظام كله الذى وضعناه لنفع الجميع !

وإن لم نوافقه على هذا الاستثناء، يملأ الدنيا احتجاجاً وعتاباً .. ! و يقول: أين المحبة ؟! وأين مراعاة الشعور والظروف والأسباب ؟!

(٩٩)

فرق بين عبارتين

قال لى : متى يكون لديك فراغ من الوقت ، يمكننى أن أقابلك فيه ؟

فقلت له : لعلك تقصد متى أكون أقل انشغالاً ...

(١٠٠)

كل الشعب ..!

كانا قيادتين بارزتين فى الكنيسة فى بلدة (.....) . ولكنهما كانا على طرفى نقيض .. وكل منهما كان له انصاره ومؤيدوه .

وتقدم أحدهما بمشروع لأجل الكنيسة . واجتمع حوله أنصاره وقالوا له : كلنا معك ، نؤيد هذا المشروع . فأرسل بدوره إلى البابا يقول :

إن كل الشعب يؤيد المشروع .

أما الشخص الذى يمثل القيادة الأخرى ، فقد عارض

المشروع . واجتمع حوله أنصاره وقالوا له : كلنا معك ، نعارض هذا المشروع . فأرسل بدوره إلى البابا يقول له :

إن كل الشعب يعارض المشروع .

فابتسم البابا وقال : العجيب أن كلاً منهما يعلن أنه يعبر عن رأى الشعب كله ... ليت أحدهما يقول : بعض الشعب ، أو حتى الكثير من الشعب . فكلمة (كل) غالباً ما تكون عبارة غير دقيقة ، وبخاصة حينما تقال عن الشعب ...

١٠١

السطح والعمق

رأيت فى طريق الحياة أشخاصاً ، يظنون أنهم يثبتون وجودهم بعلو أصواتهم ، أو بدخولهم فى صراع ...

ويبحثون عن دور بطولى ، بهذا الضجيج ...

وهنا تذكرت عبارة قالها الأديب جبران خليل خبران ...
قال : عندما ألقانى الله حصاة فى بحيرة الحياة ،
أحدثت فقاقيع على سطحها ، ودوائر لا حصر لها .
ولكن ما أن وصلت إلى العمق ، حتى صرت هادئاً .

١٠٢

بدون حكمة ..!

رأيت فى طريق الحياة أشخاصاً يحبون الفضيلة جداً، ويمارسونها بكل قواهم . ولكنهم يتعبون إذ لا يمزجون الفضيلة بالحكمة .

يتعبون جداً من التواضع بغير حكمة ، إذ قد يقودهم إلى لون من المذلة أو من الإهانة ربما لا يحتملونها ، ولا تنفع غيرهم روحياً .

و يتعبون من العطاء بغير حكمة ، إذ يحيط بهم جماعة من المحتالين يأخذون المال الذى يريد الله أن يعطى للمحتاجين . و يرتكب أولئك فى سبيل أخذ مال الفضلاء ألواناً من الكذب والحيلة والدهاء والإدعاء .

أمثلة أخرى كثيرة ، ليس مجالها الآن .

فليت كل إنسان يمزج الفضيلة بالحكمة . وقد تحدث سفر الأمثال كثيراً عن فضيلة الحكمة .

(١٠٣)

يبحث عن دور.. !

رأيت فى طريق الحياة نوعاً من الناس يريد أن يبحث له عن دور فى المجتمع الذى يعيش فيه، بحيث يظهر و يلفت إليه الأنظار.. !

إما ينشر شيئاً جديداً مخالفاً للمألوف ... وربما بدعة !!

أو بأن يدعى المعجزات أو مواهب الشفاء، أو الرؤى والأحلام..

أو بأن يهاجم الكنيسة ، و يعارض أموراً كثيرة فيها عن غير علم بالحقيقة، لكى يبدو بطلاً مدافعاً عن الحق أمام الناس !!

بل رأيت البعض يهاجم الكتاب المقدس نفسه، لكى تلتفت إليه الكنيسة وترد عليه ، و يتحول من المجهول إلى المشهور!!

(١٠٤)

مـا السـبب ؟

كنت ـوأنا أسقف ـ أستطيع أن أجد وقتاً ، استمع فيه إلى بعض

المشاكل الفردية ، لمن يحضر إلى مقابلتى من الناس .

وقد جاءتنى تلك السيدة، تشرح لى قسوة زوجها وعنفه فى معاملته لها . فطلبت منها أن يحضر زوجها لمقابلتى ، لأتفاهم معه فى الأمر.

ولما قابلته واستوضحته الأمر، أدركت أن الزوجة لها تصرفات ليس من السهل احتمالها ، وأنها تثير أعصاب زوجها جداً بأخطائها وعنادها وتصرفاتها المعثرة اللامعقولة ...

ومن ذلك الحين ، أصبحت كلما تحكى لى زوجة سوء معاملة زوجها لها ، أسألها : وما السبب الذى ألجأه إلى ذلك . ولا أستطيع أن أقبل شرح أحد الطرفين للمشكلة ، دون أن أستمع إلى الطرف الآخر.

وبالتدريج أصبحت أستخدم سؤال « وما السبب ؟ » فى أمور أخرى كثيرة ...

١٠٥

حدود للخطأ .. !

رأيت فى طريق الحياة نوعاً من الناس إذا أخطأ ، يظل يتسّيب

فى الخطأ بغير حدود . لا يعرف كيف يوقف نفسه عند حد معين لا يتعداه . إنما يتطور من خطأ إلى خطأ إلى خطأ .. إلى خطأ أكبر ، إلى خطأ أعمق ، إلى خطأ أروع .. بغير حدود !

هذا يشبه ناراً قد اشتعلت فى مكان . فتظل تشتعل فى كل ما حولها . لا تترك شيئاً ، بل تستمر تحرق بغير توقف . لا تعرف كيف تطفىء ذاتها ، إنما تحتاج إلى قوة من الخارج لتطفئها .

بينما رأيت نوعاً آخر من الناس ، إذا أخطأ يقوم بسرعة لا يتطور أكثر ، ولا يتورط أكثر. لأنه يعرف كيف يوقف خطأه عند حد لا يتعداه .

هذا النوع الثانى ، توبته أسهل ... وأسرع .

(١٠٦)

إنسان مضطرب

رأيت هذا الإنسان فى طريق الحياة .. إنه يضطرب و يقلق بسرعة و بلا سبب . وفى اضطرابه يشيع الاضطراب والقلق فى كل من حوله ... !

عقله المملوء بالشكوك وبالمخاوف ، يصّور له أسباباً وهمية يضطرب بسببها ، كإحتمال الفشل مثلاً ، أو الخوف من تدابير الناس ضده ، أو الشك فى نواياهم .

وحتى إذا نجح طريقه : بدلاً من أن يشكر الله و يطمئن ، يصوّر له تفكيره المضطرب أن المستقبل مظلم أمامه ، وأن النجاح الذى هو فيه لن يدوم ...

و يشيع هذا فى كل من حوله ... والعجيب أنهم يصدقونه !! لأن عدوى الاضطراب قد زحفت إلى أفكارهم ونفسياتهم وأعصابهم .. !!

١٠٧

إذا نصحته .. !

رأيت فى طريق الحياة لوناً من الناس ، إذا نصحته يتعب نفسياً ، أو يحتج أو يثور. و يعتبر النصيحة إتهاماً موجهاً إليه يحتاج إلى دفاع أو إلى ردّ بأية الطرق ... أو يظن أنك أخذت فكرة سيئة عنه . و يظل يشرح كيف أن الأمور ليست هكذا ، ولابد من وشاة أو دساسين قد تدخلوا .. !

و يتأزم الموقف جداً ... وقد يبكى أويحزن ، أو يخاصمك شاعراً أنك لا تثق به الثقة التى ينبغى أن تكون بينكما ...

وقد تندم لأنك نصحته ، بطريقة تجعلك لا تنصحه مستقبلاً .

١٠٨

نصائح للعامل الناجح

كنت أنصح كل عامل، وكل صاحب عمل ، لكى ينجح فى عمله وفى تعامله ، أن تتوافر فيه الشروط الآتية :

١ ـ جودة العمل .

٢ ـ دقة المواعيد .

٣ ـ السعر المناسب .

٤ ـ الصدق .

٥ ـ الكلمة الطيبة وحسن التعامل .

ونقص شرط واحد من هذه الشروط ، قد يجعله يفشل فى عمله ، أو يخسر الناس الذين يتعاملون معه .

١٠٩

مقترحات نظرية

ما أكثر المقترحات النظرية التي يقدمها غير المختبرين ...

وإذا اصطدمت بالواقع العملي ، لا يمكن تنفيذها بتاتاً ...

وهؤلاء المقترحون : إن قلت لهم كيف ؟ لا يجدون جواباً ...

وإذا سألتهم عن الإمكانيات ، يقولون لا شأن لنا بها !
وإن قلت لهم : من يكون مسئولاً عن التنفيذ، لا يجدون إسماً .
المهم عندهم أن يقترحوا ، ولو بمبدأ :
« الاقتراح علينا ، والتنفيذ عليك » ... !

١١٠

عابد وعالم

تقابل ذات يوم عالم فيلسوف ، وعابد بسيط . وتجاذبا الحديث ...

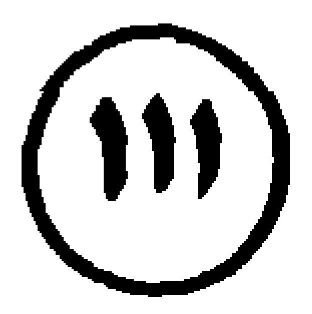
فقال العالم : إننى قضيت عمرى كله مع الفكر.

وقال العابد: وأنا قضيت عمرى كله مع المشاعر. وتركزت مشاعرى كلها فى الله وحده...

ومرت لحظات صمت، كان فيها العالم الفيلسوف يتأمل عمق بساطة العابد. ولاحظ العابد ذلك، فقال فى استحياء:

إن المشاعر التى عشتها ولدت لى الكثير من التأمل الذى هو أعمق من الفكر. فهل الفكر الذى عشته أنت، ولد لك شيئاً من المشاعر؟

وصمت العالم الفيلسوف، وأخذ يفكر فى ما سمعه...



الخطية..

إثنان يصليان المزمور الخمسين، مزمور التوبة. وكل منهما يردد عبارة «ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك». ولكنهما فى طلب الرحمة كخاطئين، لكل منهما مفهوم خاص فى طلب الرحمة:

١ - أحدهما يطلب أن يرحمه الله من عقوبة الخطية.

٢ ـ والثانى يطلب الرحمة من الخطية ذاتها ، فلا تسيطر عليه .

فالأول يطلب العفو والمغفرة . والثانى يطلب النقاوة والطهارة

ترى أيهما أعمق فى طلبته ... ؟

١١٢

سؤال أحرجنى ..

هناك مفارقات كثيرة فى الحياة ...

فعلى الرغم من أننى بنعمة الله كثيراً ما كنت أجيب بسهولة على أسئلة صعبة ، إلا أننى فى إحدى المرات وجدت صعوبة كبيرة فى الإجابة على سؤال سهل ... فلم تكن الصعوبة فى السؤال ، وإنما ... سأحكى لك :

حدث أن أحد السفراء (من أوروبا) دعانى إلى حفل لتكريم رئيس أساقفة بلده الذى كان يزور مصر ، وقد زارنى فى الدير . وكان الحفل لرد الزيارة ...

وسألتنى زوجة السفير سؤالاً ، وهى إمرأة متدينة ووديعة جداً ...

قالت: كانت لى قطة فى غاية الجمال والرقة، وكنت أحبها جداً، وتحبنى وتتبعنى حيثما سرت فى منزلى، وتجلس فى حجرى وتتمتم... ثم ماتت القطة، وحزنت عليها كثيراً وبكيت... وتقابلت مرة مع أحد الرهبان، وسألته: هل انقطعت علاقتى نهائياً بقطتى، أم سوف أراها فى الأبدية؟ فأجابنى اجابة قاسية جداً، وجرح شعورى بقوله: كلا، طبعاً. حياة القطة انتهت بموتها تماماً، وليس لها امتداد بعد الموت. ومن الخير لكِ ألا تفكرى فيها... وقد صدمتنى هذه الإجابة وآلمتنى...

ثم نظرت إلىّ زوجة السفير نظرات متوسلة، ونبراتها تدل على الحزن والألم، وسألتنى فى رجاء: حقاً يا سيدى سوف لا أرى قطتى المحبوبة مرة أخرى بعد موتها؟!

ومرت علىّ لحظات من الصمت، فى حرج شديد، وأنا أفكر وأصلى... نحن لسنا الآن فى حصة لاهوت، إنما أمام مشاعر إنسانية رقيقة ليس من السهل أن نجرحها... وأخيراً فكرت أن أجيب على سؤالها بسؤال، فقلت:

ألم يحدث بعد موتها، أنك رأيتيها فى حلم؟

فعادت الابتسامة إلى وجهها، وقالت: نعم رأيتها كثيراً فى أحلامى.

فقلت لها : إن بعض الأحلام نعمة ، يرى فيها الإنسان فى نومه ما يعجز عن رؤيته فى يقظته .

١١٣

طريقة العرض

رأيت كثيرون يخسرون قضيتهم بسبب طريقة عرضهم لها ... وكان يمكن أن يكسبوا الموقف لو أنهم عرضوا المسألة بطريقة أسلم ، أو بحكمة ، أو بأسلوب يناسب مشاعر وعقلية من يستمع إليه .

لا يكفى إذن أن تكون على حق . وإنما يجب فيما تتحدث عن حقك ، أن تعرضه بأسلوب يقبله سامعك ...

١١٤

وضع وسط

يقول الفلاسفة إن الفضيلة هى وضع وسط بين إفراط وتفريط .

ويقول الروحيون إنها الوضع الوسط ، الذى يبعد عن ضربة الشمال وضربة اليمين .

وهى وسط بين التقييد والتسيب ، وبين الشدة والتساهل ، وبين التطرف الإيجابى والتطرف السلبى .

وقديماً قال القديسون : إن الطريق الوسطى خلّصت كثيرين .

١١٥

تلاميذ وقادة

كثيرون كنا نراهم متضعين جداً ، وهم تلاميذ . وتظهر على ملامحهم علامات الوداعة والطيبة ... فلما صاروا مدرسين ، ولما صاروا قادة ، فقدوا اتضاعهم ووداعتهم . وصارت لهم صورة غير الصورة الأولى ...

سألنى البعض : هل هؤلاء أضرتهم الخدمة ؟

قلت كلا ، إن الخدمة لا تضر ، ولكنها تكشف اشياء كامنة فى النفس . وربما سلوكهم فى الخدمة أو فهمهم لها لم يكن سليماً .

١١٦

.. والنتيجة !!

يحدث كثيراً أن شخصاً ما ، فى حالة حماس أو حالة انفعال ، يقوم بعمل ما ... دون أن يفكر مطلقاً ماذا تكون نتيجة ذلك بالنسبة إليه أو بالنسبة إلى غيره .

قد يكون هذا العمل كلمة يقولها ، أو سلوكاً معيناً وقد يستمر فى سلوكه أياماً أو شهوراً أو سنوات ... ثم يصطدم بالنتيجة فيما بعد ... النتيجة التى لم يكن يتوقعها فى حالة انفعاله أو حماسه الأول ...

١١٧

ندم .. ولماذا ؟

قد يخطىء إنسان ، و يندم .

ولكنه لا يندم لأنه أخطأ ، أو لأنه كسر وصية الله ، وأحزن

روحه القدوس ، وفقد الصورة الإلهية .

إنما هو نادم بسبب العقوبة التى وقعت عليه ، أو بسبب النتائج المريرة التى وصل إليها .

إنه نادم وحزين ، لا بسبب الخطية ، إنما بسبب العقوبة .

مثل قاين ، حينما قال « ذنبى أعظم من أن يحتمل » (تك ٤ : ١٣) . ولا يقصد خطيته ، وإنما عقوبة الله له . وهكذا قال .

ومثل عيسو عندما بكى ، لا بسبب خطيئته ، وإنما بسبب النتيجة ، إنه فقد البركة ، وأخذها اخوه يعقوب .

وهكذا فرعون حينما قال لموسى وهرون « أخطأت إلى الرب وإليكما » (خر١٠: ١٦) ليس ندماً على خطيئته ، وإنما حزناً بسبب الضربات ...

١١٨

المواهب والمعاملات

كثيراً ما نهتم فى سيامة الكاهن بما له من مواهب ، سواء من جهة

التعليم ، أو الكفاءة فى الوعظ ، أو النشاط فى الخدمة . وقد لا نضع أمامنا أهمية أسلوبه فى التعامل مع غيره ، سواء فى محيط الكنيسة ، أو فى بيته ، أو فى مكان عمله .

والمواهب وحدها لا تكفى . ربما يفشل بسبب معاملاته !!

(١١٩)

علامات الطريق

كثيراً ما كنت أرى على امتداد الطريق الصحراوى ، أو الطريق الزراعى ، أو حتى الـFree Way بأمريكا ، علامات ترشد المسافر إلى الهدف الذى يصل إليه ، وهى قائمة مكانها لا تسير إلى ذلك الهدف . وظيفتها مجرد الارشاد ...

ذكرتنى بالكبارى التى تنقل العربات السائرة عليها من شاطىء إلى شاطىء ، وهى مكانها لا تتحرك .

أو كالأجراس التى تدعو الناس إلى دخول الكنيسة ، فيدخلون و يصلون . والأجراس مكانها لا تدخل .

فقلت فى نفسى : كان الكتبة والفريسيون هكذا ، يجلسون على

كرسى موسى ، و يتحدثون عن وصايا الله ، دون أن يعيشوها ...

إنها مجرد مكاتب للارشاد وليس للعمل !!

عملهم هو فى التصدير الخارجى ، وليس فى الاستهلاك المحلى

(١٢٠)

حدود العمل الكهنوتى

فى كثير من الأمور يكون عملنا الكهنوتى هو أن ننصح، لا أن نرغم . فواجبنا هوالتوعية وليس السيطرة ...

الله نفسه وضع لنا وصايا ، ولم يرغمنا على تنفيذها . وإنما قال : أمامك طريقان الخير والشر، الحياة والموت . فاختر الخير لكى تحيا (تث ٣٠ : ١٥ ، ١٩) .

هكذا أب الاعتراف له أن ينصح المعترف ، دون أن يقول له «لا حل ولا إجازة أن تفعل كذا وكذا ... فيشعر المعترف أن الاعتراف أصبح قيداً لا إرشاداً .

(١٢١)

تعـاون مـرحَلى..

بعض الناس ممن يختلفون فى الروحيات وفى منهج الحياة وقد يكونون أعداء... يتعاونون معاً... ولكنه تعاون غير مبنى على مُثل عليا، ولا على محبة... كل ما فى الأمر أنه تعاونٍ مرحلى... أى لمرحلة معينة، لتنفيذ الغرض المشترك.

ومتى انتهت هذه المرحلة، وتحقق الغرض منها، قد يتحول هؤلاء المتعاونون إلى أعداء كما كانوا... وتنفضّ الشركة.

لما تحالف تشرشل رئيس وزراء بريطانيا مع روسيا الشيوعية ضد هتلر، تعجب الناس من ذلك، فقال لهم تشرشل إنه مستعد أن يتحالف مع الشيطان لكى يكسب الحرب... وكان ذلك تعاوناً مرحلياً بينهما. فلما تخلصا من هتلر وكسبا الحرب، انفصلا مرة أخرى، لأن الأيديولوجيات متعارضة...

أتراك تحالفت فى يوم ما مع الشيطان لتكسب غرضاً معيناً !!

وأنت تقول فى نفسك إنه تعاون مرحلى ، وسوف نفضّ هذه الشركة بعد نوال الغرض !!

ربما تحاول أن تفض هذا التعاون، ولكن الشيطان يغريك أن تستبقيه إلى مرحلة أخرى من أجل غرض آخر.... وتتوالى المراحل ، حتى تصبح شركة دائمة .. !

(١٢٢)

الدائرة الشعبية الواسعة

الرعاة الذين يحيطون أنفسهم بدائرة ضيقة من الناس ، يستمعون إليها ، إنما يحصرون أنفسهم فى هذه المجموعة من الناس التى قد لا تعبر عن رأى كل الشعب ...

ولكننا بالخبرة وجدنا أن الاتصال بالقاعدة العريضة من الشعب ، إنما تعطى رؤية أوضح ، فى نطاق أوسع .

حقاً إن الدائرة الواسعة توضح الرؤيا أكثر...

١٢٣

فى الخدمة

★ الخدمة التى لا تنتج مكرسين هى خدمة ناقصة النمو...

★ هناك أشخاص نشطاء جداً فى الخدمة. ولكن خدمتهم خالية من الروح... لذلك يفشلون فى الخدمة...

الخدمة ليست بكثرة ميادينها، إنما بعمق عملها وروحانيتها.

★ أليست مأساة فى الخدمة أن العناصر الطيبة تتضايق وتيأس وتبعد. وتترك الجو لعناصر أخرى متعبة ؟!

١٢٤

على الشاطىء . !

إنه لا يعرف العوم ولم ينزل إلى البحر مطلقاً ليعوم... ولكنه فى

كل مسابقة للسباحة، كان يقف من بعيد على الشاطىء، ليلقى تعليقاته وملاحظاته، و ينتقد هذا السبّاح أو غيره، و يؤكد للناس أن السباحين لهم أخطاء فنية جوهرية !!

لقد ذكّرنى هذا الإنسان بكثيرين، لا يشتركون فى العمل، ولا يساهمون بأية مساهمة فعالة فى أى عمل كبير منتج. إنما يقفون من بعيد يتفرجون. لا يبنون مع البانين، بل يكتفون بالنقد والتعليق، وإبداء الملاحظات، والبكاء على المثاليات !! دون معرفة بالمجهود المضنى الذى يبذله العاملون، ولا بالعوائق العلمية والعراقيل التى تصادف كل عمل ناجح... إنما هم يقفون على الشاطىء، يلقون الملاحظات، و ينتقدون السباحين... !

(١٢٥)

محبة بلا مقابل

إن أفضل ما يريح قلبك فى محبتك للناس، أن تحبهم بلا مقابل، إن لم يحبوك. لا تطلب لمحبتك أجراً على الأرض. يكفيك الأجر السماوى. وكما قال أحد الآباء « إن شئت أن

تحب الناس ، فلا تفتش دواخلهم » .

لا تطلب محبتهم ثمناً لحبك . اختبر أن تحبهم مجاناً .

واجبك أن تحب الناس . ولا تنشغل إن قاموا هم بواجبهم أو لم يقوموا ...

(١٢٦)

مدرس بلا فصل

كان أحد مدرسى مدارس الأحد معنا فى الأربعينات .

أتذكره جيداً . كان يحضر معنا فى الكنيسة . وكان يحضر اجتماعات الخدام . ولم يكن له فصل يُدرسه ...

كانت خدمته التى يركز فيها كل جهده وكل وقته ، هى حل المشاكل ، سواء المشاكل الأسرية ، أو مشاكل الأفراد ، وما يصحب ذلك من افتقاد مستمر وجلسات فردية ، وتعب كثير فى هذه الخدمة ...

وكان يحكى لنا خبراته فى ذلك ، وعمل الله معه . وكلها

كانت قصصاً معزية للغاية .

ربما كانت تنطبق عليه عبارة « خادم » لا « مدرس » ...

ومع ذلك كانت خدمته درساً ... يتلقاه الكل لا من محاضرة يلقيها ، وإنما من حياته ...

فيما بعد ، فى الستينات على ما أذكر، تمت سيامته كاهناً . ثم رقد فى الرب ، نيح الله نفسه ... الله الذى لا ينسى تعب المحبة .

١٢٧

النـــذر

ما أكثر الذين أرسلوا إلىّ - بعد أن تعهدوا بنذر معين - يشكون من عدم قدرتهم على تنفيذ النذر!! ويقدمون أسباباً وأعذاراً كثيرة !!

المفروض أن يفكر الإنسان بعمق قبل النذر وليس بعده ... يفكر فى مدى قدرته على التنفيذ، وما إمكاناته العملية ... كل ذلك قبل أن يتعهد أمام الله ... ولا يكون النذر فى حالة انفعال غير واعية .

ولعل من أعمق ما ورد فى الكتاب عن النذر، قول الوحى الإلهى:

« خير لك أن لا تنذر، من أن تنذر ولا تفى» (جا ٥ : ٥).

ولتضع أمامك فى كل نذر ثلاثة أمور:

الوفاء بالنذر - عدم تأجيله - عدم تغييره .

١٢٨

أول طريقى إلى الرهبنة

كيف نبتت فكرة الرهبنة فى قلبى ؟

كان ذلك فى شبابى المبكر، وكتبت فى ذلك قصائد وأنا طالب فى الجامعة، منذ سنة ١٩٤٥ . وكانت أمامى ثلاث نقاط تشغل ذهنى وقلبى. فما هى؟

١ - أثرت فىّ كثيراً الآية التى تقول :

« تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل فكرك » (مت ٢٢: ٣٧).

وقلت فى نفسى : كيف يمكن عملياً، لإنسان يعيش فى العالم، أن يعطى لله كل القلب وكل الفكر؟! ما أسهل أن تحاربه محبة العالم، أو تشغله محبة الذات، ومحبة القريب... بينما العالم يبيد وشهوته معه (١يو٢: ١٥- ١٧). وكيف يمكن أن يعطى لله كل الفكر؟! فى العالم أمور كثيرة لابد أن نفكر فيها... وقد ننشغل بها عن الله (انظر قصيدة وماذا بعد هذا؟).

٢ ـ النقطة الثانية التى شغلتنى هى الأبدية :

التركيز فى الأبدية، الذى جعلنى أشعر بأن الحياة فى العالم هى فترة غربة. وقد كثرت عبارة «غربة» و«غريب» فى قصائدى الرهبانية، مثل :

غريباً عشت فى الدنيا نزيلاً مثل آبائى

٣ ـ النقطة الثالثة التى دفعتنى هى الحرية.

فى العالم قيود كثيرة، من جهة الوظيفة، والوقت، والأسرة، والمسئوليات. أما الرهبنة فهى الحياة التى كنت أرى فيها الحرية الكاملة والانطلاق، كما فى قصيدة (سائح).

(١٢٩)

الحبّ والخوف

يمكنك بالتخويف أن تجعل إنساناً يطيعك . ولكنك لا تستطيع أن تجعله يحبك ...

إن الله يريد محبتنا ، قبل طاعتنا .

وحينما يريد الطاعة ، إنما يريد الطاعة النابعة من الحب .

لذلك قال « يا ابنى أعطنى قلبك » ، قبل أن يقول « ولتلاحظ عيناك طرقى » (أم٢٣ : ٢٦) .

الخوف والعقوبة يربيان عبيداً لا أبناء .

بينما قال السيد المسيح « لا أعود أسميكم عبيداً ... لكننى قد سميتكم أحباء » (يو١٥ : ١٥) .

الشدة تنفر ، وكذلك القسوة . لكن المحبة تبنى (١كو٨ : ١) .

الأمر المؤلم أن كثيرين يستغلون المحبة استغلالاً خاطئاً .

ومادامت ليست هناك عقوبة، يتحولون إلى الاستهتار واللامبالاه وعدم الالتزام وعدم القيام بأى واجب ... ولعله من أجل هذا واشباهه، قال السيد المسيح:

« أنتم أحبائى، إن فعلتم ما أوصيتكم به » (يو١٥ : ١٤).

١٣٠

السبب الثانى

قابلت فى حياتى الرعوية نوعاً من الناس، إذا أراد منى الموافقة على أمر من الأمور، يقدم لى السبب الثانى أو الثالث أو الرابع ...! ويخفى تماماً السبب الرئيسى، لأنه يعرف موقناً أننى لن أوافق عليه ...

وتعودت بالنسبة إلى هذا النوع، أن أرجىء البت فى الموضوع، إن كانت الأسباب الثانوية التى يقدمها غير مقنعة ... وأفكر فى عمق: تُرى ما هو السبب أو الهدف الحقيقى الذى يريده ... وغالباً ما كنت أصل إليه ...

(١٣١)

العقل والنفسية

رأيت فى طريق الحياة أشخاصاً عقولهم فى منتهى الذكاء ، ومع ذلك يتصرفون تصرفات غير عاقلة !! وكان السبب أنه إلى جوار العقل الذكى ، توجد نفسية منهارة أو منحرفة ، تنظر إلى الأمور بطريقة مرتبكة غير سليمة ... ولا تكتفى بهذا ، إنما تجر العقل بكل قدراته فى تيارها ... !

فيستخدم العقل كل ذكائه ، ليجرى فى تيار النفس ، بكل أمراضها ومتاعبها . والعجيب أنه لا يقدر أن يقود النفس ، إنما هى التى تقود العقل ، وتخضعه لمشاعرها وأهوائها ، فيفكر بما يناسبها .

إن عقدة نفسية معينة ، يمكن أن تقود حتى عقل فيلسوف ، فيفلسف هذه العقدة !

(١٣٢)

الداخل والخارج

البعض يتعبون من أسباب خارجية تضايقهم. وآخرون لا يوجد سبب يتعبهم من الخارج. ولكنهم فى تعب شديد، ومصدر تعبهم هو من داخلهم: من طريقة نظرتهم إلى الأمور، أو من حساسيتهم الزائدة، أو طريقة تفكيرهم ...

(١٣٣)

تبسيط العلوم

منذ صغرى، وطوال حياتى كلها، كنت أحب تبسيط العلوم.. بهذا الأسلوب كنت أفهم مواد العلم وأنا طالب. وبنفس الأسلوب كنت أقدم المعلومات لتلاميذى وأنا مدرس... حتى فى نظمى للشعر، كنت أتحاشى فيه أية لفظة صعبة فى فهمها ...

ولما بدأت التدريس فى الإكليريكية، وضعت أمامى أيضاً تبسيط اللاهوتيات، بحيث يفهمها أى مستوى ... موقناً أن الدين لم يوضع للفلاسفة فقط، إنما أيضاً لعامة الناس، ومتذكراً قول القديس بولس الرسول «... لأ بشر، لا بحكمة كلام، لئلا يتعطل صليب المسيح» (١كو١: ١٧) ... إن التبسيط يصلح للكل. أما المستويات العالية، فهى للخاصة فقط، وهم قليلون ...

١٣٤

عضو عامل !!

فى أول الخمسينات عُينت عضواً فى مجلس إدارة التربية القبطية بالجيزة. ولم يدعونى لأى اجتماع ...! والعجيب أنه فى لقاء مع الاستاذ حبيب جرجس، قال له أحد أعضاء الجماعة وهو يشير إلىّ «الاستاذ نظير جيد عضو عامل معنا فى جماعة التربية القبطية» ... فالتفت إليه وقلت مازحاً :

«عضو عامل أم عامل عضو؟! ».

(١٣٥)

العضو الوحيد

فى سنة ١٩٥٢ أجريت الانتخابات لمجلس إدارة «بيت مدارس الأحد» بروض الفرج بشبرا. وكانت مجموعتان من الخدام تتنافسان على الترشيح. ولم أكن من أي منهما. ولكنى كنت محبوباً من كليهما، وكنت رئيس تحرير مجلة مدارس الأحد التى يصدرها هذا البيت. والذى حدث أننى نجحت فى الانتخابات، ولم يحدث فقط أننى نلت أكثر الأصوات، إنما نلت كل الأصوات، إذ أن أعضاء كل مجموعة من المجموعتين إنتخبونى.

وجاء اختيار رئيس مجلس الإدارة. والمجموعة التى نجحت كانت تريد طبعاً أن يكون رئيس المجلس من بين أعضائها. ولكنهم خجلوا منى بالنسبة إلى نتيجة الانتخابات. فلكى يخرجوا من هذا المأزق، قالوا: نحن خدام مدارس أحد. ولا نتنافس على رئاسة. والأفضل أن نترك الله يختار، ونلقى قرعة بين الأعضاء

الناجحين ، وكانوا سبعة . وألقوا قرعة فاختارتنى القرعة وصرت رئيساً لمجلس الإدارة .

ولكن أعضاء المجلس كان لهم أسلوب إدارى . وكنت أنا أحب الأسلوب الروحى لذا لم يتفق أسلوبى مع أسلوبهم . فكنت أترك لهم الأمر يديرونه حسب رأى أغلبيتهم . وأخيراً قدمت استقالتى لأتفرغ للعمل الروحى فى التدريس فى الاكليريكية وفى تحرير المجلة .

وكانوا كلما يسألوننى لماذا لم أبقَ فى مجلس الإدارة ، أجيبهم :

نحن سبعة فى المجلس : منهم ستة رؤساء ، وأنا العضو الوحيد .

وأتذكر حينما تم اختيارى للبطريركية فى أواخر سنة ١٩٧١ أى بعد حوالى عشرين عاماً ، أن أحد الأعضاء تذكر هذه القصة ، وكتب مقالاً عنوانه (العضو الوحيد) .

١٣٦

النفوس الكبيرة

النفوس الكبيرة تستطيع أن تحتمل الكثير، وتسمو فوق الصغائر ولا تتأثر بها . وحتى الكبائر... تعالجها فى تؤدة وهدوء ، بغير ثورة ولا انزعاج .

أما النفوس الصغيرة، فتنزعج من أقل شىء ، ولا تستطيع أن تحتمل . ويخرج الضيق من قلبها إلى لسانها ، إلى آذان الناس... وتملأ الدنيا ضجيجاً ...

١٣٧

تعليم فى الخفاء

كان لهم تعليم خاطىء ، خافوا من إعلانه، لئلا تحاسبهم الكنيسة على أخطائهم هذه فى الإيمان والعقيدة ...

فاستمروا فى تعليمهم ، ولكن فى الخفاء ...

فى الزيارات ، وفى الجلسات الفردية ، وفى اجتماعات خاصة .

وكانوا يغطون على هذا التعليم الذى فى الخفاء ، بأنه تعليم للخاصة ، للصفوة المختارة ، الناضجة فى الفهم !! وبالتالى ليس هو للعامة ، التى لم تنضج بعد !

وزاد خطورة هذا التعليم ، إلى الحد الذى لم يحتمله بعض من هذه الخاصة ، فانقسموا عليهم وتركوهم .

وانكشف الأمر لنا ، فى كل تفاصيله ...

(١٣٨)

صديق جاهل ..

كانوا يدافعون عنه فى كل أخطائه ، و يتطاولون على الكنيسة بسببه !! فلا يشعر هو بفداحة إثمه ، ولا يتوب . بل يستمر فيما هو فيه ، إعتماداً على هؤلاء المدافعين ، الذين يشجعونه ، ويمنحونه من تأييدهم ، و ينفقون عليه من أموالهم .

وكلما انحدر ، يظلون مدافعين عنه ، وكأنها عبادة

أشخاص .. ! فيستمر فى الإنحدار، وهم يشجعونه ..!

إلى أن أضاعوه تماماً ... !! ووقفوا يتحسرون ...

وانطبق عليهم المثل القائل «عدو عاقل خير من صديق جاهل» . بل انطبق عليهم قول الكتاب :

« مبرىء المذنب ، ومذنب البرىء ، كلاهما مكرهة للرب» (أم ١٧ : ١٩) .

١٢٩

الدرس الهادف

كثيرون يدرسون فى مدارس الأحد، ولكن دروسهم ليست هادفة . ولكنها مجرد معلومات ، بلا تأثير... !

أما المدرس الناجح ، فهو الذى يضع أمامه هدفاً روحياً ، لشرحه الدرس الذى يلقيه...

فإن كان درسه عن سير أحد القديسين مثلاً ، لا يكون مجرد تاريخ ولا معلومات ، إنما هو هدف روحى ، تثبته هذه السيرة ، و يتجلى فى حياة ذلك القديس...

الدرس هو روح تتجسد فى ألفاظ ....

(١٤٠)

المكالمات التليفونية

التليفون وسيلة سهلة للإتصالات. ولكن ترتبط به بعض المشاكل، حبذا لو راعاها المتكلمون ...

★ أحياناً كان يطلبنا البعض فى مكالمة تليفونية، ويظل يتكلم وقتاً طويلاً دون أن يسأل هل الذى يكلمه متفرغ لهذا الحديث أم لا. وقد تصل المكالمة فى وقت مشغولية شديدة جداً. ويطول الحديث، وما أن ينتهى حتى تبدأ مكالمة طويلة أيضاً أو أطول ...

يعجبنى البعض فى أنه كان يسأل أولاً: هل لديك وقت لسماعى؟ كم من الوقت؟

★ وأحياناً كان يتكلم البعض بصوت عالٍ وبانفعال. ويكون لدينا ضيوف يمكن أن يسمعوا المكالمة!! ولا تراعى إطلاقاً سرية المكالمة...

★ وأحياناً يكون الموعد غير مناسب ... بعد نصف الليل مثلاً، أوفى

الصباح الباكر جداً . وتتعدد مكالمات فى نفس الموعد ...

★ وقد تكثر المكالمات من أماكن متعددة ، بحيث لا يتبقى لنا وقت لأ ية مسئولية أخرى !!

★ وأحياناً يراد توصيل خبر أو طلب إلينا . فبدلاً من أن يُعهد إلى واحد بتوصيله ، تتولى ذلك مجموعة من أشخاص . كل منهم يقول الخبر مكرراً .

★ وإذا عهدنا إلى سكرتارية لتلقى المكالمات ، قد يغضب البعض ، و يقول : كيف لا أستطيع أن أتكلم بنفسى فما لأذن !!

فهرست

صفحة

صفحة







بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

أقرأ فى هذا الكتاب عدد ١٤٠ خبرة من خبرات الحياة، يضاف إليها أكثر من ١٧٠ فى الجزء الأول .

أضعها بين يديك أيها القارىء العزيز، لعلها تعطيك فكرة عن الجو الذى تعيش فيه، وأنت سائر مثلى فى طريق الحياة .

تقابلك عينات من الناس، وألوان من التصرفات، ومن الأحداث، ومن النفسيات، سواء اختلطت بها أو لم تختلط .

البابا شنوده الثالث

الثمن ٧٠ قرشاً